حواء

من الخلق إلى البعث

فى النصوص الدينية المقدسة

د. حسن حامد عطية

دار الخيال

حـواء .. فى النصوص الدينية المقدسة / الناشر: دار الخيال / الغلاف: محمد الصباغ / الطبعة الأولى

حــــواء

من الخلق إلى البعث

فى النصوص الدينية المقدسة

حــــواء

من الخلق إلى البعث

فى النصوص الدينية المقدسة

الطبعة: الأولى يناير ٢٠٠٢

رقم الإيداع: ٣٠١٦ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى: 6- 22 - 5979 - 977

دار الخيّال : ٠١٢٣٢٩٠٦١٨

❑

تصميم الغلاف: محمد الصباغ

لوحة الغلاف: من رسوم الكتاب المقدس للأطفال

وسترن للنشر بالولايات المتحدة

جرافيك: محمد كامل مطاوع

خطوط الغلاف: لمعى فهيم

المشرف على الإنتاج: عماد حمدى

طبع الغلاف: القطان للمطبوعات الفنية

المهندسين: ٣٤٧٩١٦٣

كمبيوتر: دار جهاد ـ ت : ٧٩٦٤٧٨٣

د. حسن حامد عطية

حواء

من الخلق إلى البعث

فى النصوص الدينية المقدسة

مطبوعات دار الخيّال

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾.

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى حواء ـ كل حواء

يقولـون أنكِ خُلقتِ من أحد أضلاع آدم، ضلـع أعوج. هذا القـول يأباه العلم ويأباه التفسـير الصحيح لقول الخالق الكريم، لقد خلـقكِ العلى القدير كما خلق آدم جنبـا إلى جنب بنفس الخطوات بنفس الطـريق، فلذا، لكِ ما له من حـق وعليكِ مـا عليـه من واجب نحـو الخالق والمخـلوق فى دار الفـناء. وعليكِ ما عليه، ولكِ ما له من أزواج مطهرة وحور عين إذا قدر لكِ أن تُؤْتَىْ كتابكِ بيمينكِ.

اللهُ أكبر   واللهُ أعلم

المؤلف

آدم وحواء أم حواء وآدم

سيقول الكـثيرون الرجال قوامون على الـنساء ويقول المتشيـعون للغرب Ladies First ولكننا سنبحـث ذلك من ناحية الخلق. جاء فى الذكر الحكيـم قوله عـز شـأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾. يـقـــول جمهور المفـسرين أن النفس الواحدة هـى آدم، وأن حواء قد خلقت من تلـك النفس الواحدة أى أنهـا خلقت من آدم. لم يوافـق فضيلة الشـيخ محمد عبده صـراحة على هذا التفسير وقد لاحظت أن بعض المفسرين تجنبوا تفسير النفس الواحدة بأنها آدم.

** يقول سيد قطب ـ فى ظلال القرآن ـ :ـ

«ترد الآية (الـناس) إلى رب واحد، وخالق واحـد، كما تردهم إلـى أصل واحد، وأسرة واحدة ، وتجـعل وحدة الإنسانـية هى (الـنفس) ووحدة المجتمـع هى الأسرة، وتستجيـش فى النفس تقوى الرب ورعاية الـرحم... لتقيم على هذا الأصـل الكبير كل تكاليف التكافل والتراحم فى الأسرة الواحدة، ثم فى الإنسانية الواحدة».

** يقول فضيلة الشـيخ محمود شلتوت ـ تفسير القرآن الـكريم الأجزاء العشرة الأولى: ـ

تشير الآيـة الكريمة إلى (الأمـر بتقوى الرب إلى أولى الـنعم وأهمها وهـى نعمة

الرحم التى انتظمت الناس جميعا ، والتى نشأت عن خلقهم من نفس واحدة، وبهذا كان الناس فى نظر القرآن ـ على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وتباين أقطارهم ـ أسرة واحدة للواحد منها حق الأسرة وعليه واجبها، فلا تظالم ، ولا طغيان ، ولا طبقات ولا استغلال ولكن محبة، وتآلف ، وعدل ، ومساواة. وهذا أصل قرره القرآن فى غير ما آية، ودعا نبى الإنسانية إلى التصافى، والتعاون، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر).

أما من الناحية العلمية فقد بينت فى مؤلفين سابقين (خلق الإنسان بين العلم والقرآن) و(قضية الخلق) أن النفس الواحدة هى النوع الواحد. لقد بدأ المولى سبحانه وتعالى خلق الأحياء جميعا من نبات وحيوان وإنسان بداية واحدة إذ يقول جل وعلا: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ بدأ الله المخلوقات بكائنات من خلية واحدة طورها سبحانه وتعالى إلى كائنات عديدة الخلايا. كانت تلك الكائنات فى الحالتين تتكاثر، تكاثرا لا جنسيا (بغير ذكور أو إناث) بأن ينقسم الفرد إلى فردين متماثلين. انتقلت الأحياء بعد ذلك إلى كائنات تتكاثر تكاثرا جنسيا بالذكور والإناث، وقد بدأت بكائنات تضع بيضا ثم كائنات تلد صغارا ويتضح من ذلك أن المولى الخلاق الكريم خلق الأنثى كما خلق الذكر فى يوم واحد ـ إذاً لا معنى لوجود إناث بغير ذكور أو ذكور بغير إناث غير أن الأنثى هى التى تضع البيض وتلد الصغار، فلم نرَ أو نسمع طيلة الأزمنة والحقب والأجيال أن ديكا يبيض أو أن ثورا يلد.

خلق المولى سبحانه الخصية فى الذكر والمبيض فى الأنثى، تنتج الخصية الحيوانات المنوية وينتج المبيض البويضات. عندما يتقابل الذكر مع أنثاه يخصب الحيوان المنوى البويضة فى جسم الأنثى فتنمو البويضة المخصبة لتكوّن جنينا ينمو ويتشكل فى داخل البيضة التى تضعها الأنثى فى الكائنات التى تبيض أو فى داخل الرحم فى الكائنات التى تلد.

مما تقدم نرى أن البويضة هى الأصل الذى يكون الفرد الجديد ـ أما فى داخل بيضة تضعها الأنثى أو فى داخل رحم خلقه العلى القدير مسكنا لهذا الجنين ليتم تكوينه ـ فتضعه الأنثى وليدا ، إن المخلوق الجديد يبدأ بالبويضة. صحيح أن البويضة لكى تُكَوِّن مخلوقا جديدا لابد (فى الغالبية العظمى من المخلوقات) أن يخصبها

حيوان منوى ولكن هذا المخلوق الجديد يبدأ بجسم البويضة جميعه وكتاب الله الكريم قد بين ذلك فى دقة بالغة هى الإعجاز بعينه.

جاء قوله جل وعلا: ـ

﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تُمنى﴾ كما جاء قوله ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يكُ نطفة من منى يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾.

لقد وضحت فى كتاب قضية الخلق أن النطفة التى خلق المولى الكريم منها الذكر والأنثى هى البويضة ـ هى النطفة إذا تُمنى ـ هى نطفة الأنثى يتم تكوينها فى المبيض ثم يقذفها إلى قناة فالوب مرة كل شهر قمرى من أحد المبيضين بالتبادل. أما نطفة الذكر ـ الحيوان المنوى ـ فإنها لا تقذف منفردة بل تقذف مع ملايين من الحيوانات المنوية فى السائل المنوى الذى يحتوى فى كل مرة يقابل فيها الرجل زوجته على ما يبلغ أربعمائة مليون من الحيوانات المنوية، وقد أطلق الكتاب الكريم على هذا السائل المنوى ﴿منى يمنى﴾ تتسابق الحيوانات المنوية فيما بينها ليصل أحدها إلى البويضة ﴿إذا تمنى﴾ . من ذلك يتضح أن الإنسان كان حيوانا منويا (نطفة من منى يمنى، ولكنه خلق فعلاً من البويضة (نطفة إذا تمنى).

لقد زودت البويضة بكل المقومات التى تمكنها من الانتقال بعد أن تُخصب وتصبح نطفة أمشاج (كما سماها القرآن الكريم) زودت بما يمكنها أن تصبح علقة تعلق بجدار الرحم الذى يزودها ويكفلها بأن تنتقل خلقا من بعد خلق لكى تصبح وليدا جديدا ذكرا أو أنثى. ولزيادة الإيضاح أقول أن البويضة هى خلية الأم تحتوى على كافة مشتملات الخلية إلا أن عدد كرموزوماتها هى ٢٣ فردا، أما الحيوان المنوى فهو خلية الأب يتكون من رأس وعنق وذيل والرأس ما هو إلا غلاف به ٢٣ فردا من الكروموزومات. تتسابق الحيوانات المنوية فيما بينها فى سباق شاق يقدر العلماء تلك المشقة بالنسبة لحجم الحيوان المنوى بالمشقة التى يتحملها عابرو المانش من كاليه إلى دوفر وربما من دوفر إلى كاليه، عندما ينجح أحد الحيوانات المنوية فى الوصول إلى البويضة ينفصل ذيله وعنقه وتدخل الرأس فقط إلى البويضة مخترقة غلافها وبذلك تستعيد البويضة زوجية الكروموزومات فتصبح ٢٣ زوجا من الكروموزومات نصفها من الأم ونصفها من الأب (نطفة أمشاج).

مما تقدم يتضح أن كل إنسان يرث نصف مادته الوراثية (الجينات) من أمه حواء ويرث النصف الآخر من أبيه آدم. غير أن فى البويضة (كما فى باقى الخلايا) عضوا يطلق عليه الميتوكوندريا قد أثبتت البحوث الحديثة أنه مركز للطاقة كما يحتوى على ٣٧ جينا تنتقل جميعها إلى رجل أو فتاة المستقبل بالإضافة إلى مائة ألف جين يرثانها مناصفة من الأبوين.

نخلص من ذلك إلى أن رجل المستقبل وكذلك فتاته يرث كلٌ منهما من الصفات الوراثية من حواء أكثر مما يرثه من آدم، ولعل فى ذلك إضافة للأسباب التى من أجلها قال رسولنا الكريم صلوات الله عليه وسلامه (أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك).

* وبذلك نرى أن مهمة خلق الأجيال الجديدة، جيلا وراء جيل ، قد ألقاها الخالق جل علاه على كتفى الأنثى وفى أحشائها حيوانا أو إنسانا أو نباتا ويساهم الذكر فى هذا الخلق الجديد كما أن مساهمته يصاحبها لذة ومتعة يعيشها الطرفان، تتضاءل فى سبيل الحصول عليها كل آلام الوضع والمخاض نحسه فى الإنسان ونلمسه فى الحيوان حكمة بالغة هدفها حفظ الأنواع. أما فى النبات فلا أدرى هل تحس الزهرة بنشوة وتحمر بتلاتها خفرا وحياء عندما تنتقل حبوب اللقاح من المُتك إلى المياسم، وهل تتجمل إناث النخيل تجمل الجاهلية الأولى ويبدين زينتهن لبعولتهن فتنفرج الشماريخ الزهرية لتلك الأخيرة فتحمل الرياح حبوب اللقاح (أو يحملها الإنسان) وتنتقل من ذكور النخيل إلى إناثها، وهل تتمايل الإناث نشوة وطربا بهذا الوصال، وصالا يؤتى أكُله من أشهى الثمار.

وأخيراً.. هل لأنثى أن تنتج ذرية بغير حاجة إلى ذكور؟

الإجابة: نعم يحدث ذلك فى طوائف النحل حيث تضع الملكة بيضا لم يخصب بأى حيوان منوى وينتج هذا البيض ذكورا، وفى بعض الكائنات مثل حشرة المن تلد الإناث - إناثا مماثلة لها جيلا بعد جيل بغير حاجة إلى ذكور . أما فى الإنسان فقد حدث ذلك التوالد البكرى مرة واحدة - معجزة من الخالق الكريم - بولادة السيد المسيح من أمه العذراء البتول السيدة مريم عليها السلام.

والله يخلق ما يشاء وهو العلى القدير.

د.حسن حامد عطية

1

حواء من بدء الخلق

دار الخيّال

حواء وبنات حواء

قالت: نسمى أنفسنا بأننا بنات حواء فهل جاء بالقرآن الكريم اسم حواء؟

أجاب: لم يـرد بالقرآن الكـريم لفظ حواء ولكـنها سميت زوج آدم إذ جاء قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة / ٣٥].

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ [طه/ ١١٧].

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف/ ١٩].

* غير أن اسم حواء قد ذكر بالتوراة إذ جاء فى سفر التكوين الإصحاح الثانى:

فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما وبنى الـرب الإله الضلع الـتى أخذها مـن آدم ـ امرأة وأحضرها ـ إلـى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمـى. هذه تدعى ـ امرأة لأنها من امرء أخذت كما جاء فى الإصحاح الثالث: ـ

ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حى.

من ذلك يتضح أن تسمية حواء قد أخذت عن الكتاب المقدس.

قالت: ـ علمنا الآن أن اسم حواء قد أخذ عن التوراة فهل ورد فى القرآن الكريم اسم أى من النساء؟

أجاب: ـ لم يرد بالكتاب المجيد اسم أى امرأة من نساء العالمين إلا اسم السيدة مريم العذراء ـ إذ أن امرأة عمران عندما حملت بها قالت: ـ

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران ٣٥/ ٣٦].

ومنذ أن وضعت السيدة مريم رسول الله عيسى عليه السلام كانت تسميته بكتاب الله المجيد عيسى ابن مريم وقد كرمها الله سبحانه وتعالى بأن ذكر اسمها فى الكتاب المجيد فى أربعة وثلاثين موضعاً فى اثنتى عشرة سورة هى البقرة ـ آل عمران ـ النساء ـ المائدة ـ التوبة ـ مريم ـ المؤمنون ـ الأحزاب ـ الزخرف ـ الحديد ـ الصف ـ التحريم كما أن بالقرآن ـ كما هو واضح ـ سورة باسمها.

قالت: ـ ومن هن النسوة اللائى ورد ذكرهن فى الكتاب المجيد دون ذكر أسمائهن؟

أجاب: ـ ورد ذكر لفظ امرأة فى الكتاب العزيز عدة مرات منهن من لقى أو سيلقى جزاء حسنا ومنهن من سيصلى نار جهنم وبئس المصير فقد جاء بكتاب الله المجيد عن امرأة فرعون بعد أن التقط آل فرعون موسى عليه السلام من اليم طفلا رضيعا ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [سورة القصص:٩] كما جاء ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [سورة التحريم١١] وعن امرأة الخليل إبراهيم عليه السلام جاء :

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[سورة هود٧١] .

وعن امرأة عمران: ـ

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [سورة آل عمران٣٥].

وعن امرأة زكريا عليه السلام جاء: ـ

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [سورة آل عمران ٤٠].

وعن ملكة سبأ جاء: ـ

﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النمل٢٣].

وعن امرأة العزيز: ـ

﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة يوسف ٥١].

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ [سورة يوسف ٣٠].

وجاء عن امرأة نوح وامرأة لوط: ـ

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [سورة التحريم ١٠].

وعن امرأة أبي لهب: ـ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾ [سورة المسد ١ : ٥].

* وورد لفظ امرأتين عن ابنتي شعيب عليه السلام إذ جاء:

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [سورة القصص ٢٣].

ولم يسم القرآن الكريم اسم أي من الأمهات: إذ قد جاء عن أم موسى عليه السلام.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [سورة القصص:٧].

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص: ١٣].

* كما جاء عن أم مريم عليها السلام: ـ

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [٣٥: آل عمران].

﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم ٢٧ : ٢٨].

* وقد لقبت زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام بأمهات المؤمنين: ـ إذ جاء: ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾.

وقد حرم الله عليهن الزواج من بعده صلوات الله عليه وسلم.

وقد جاء لفظ والدة عن السيدة مريم فى قوله جل شأنه ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [سورة المائدة: ١١٠] كما جاء على لسان عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[سورة مريم ٣٢:٣١] كما جاء قوله ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾[سورة البقرة: ٢٣٣].

* وعن الأخوات جاء ذكر أخت موسى عليه السلام: ـ

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ [سورة طه: ٤٠].

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة القصص:١١].

* كما لقبت السيدة مريم عليها السلام بأخت هارون ـ إذ جاء: ـ

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [سورة مريم:٢٨].

* كما جاء لفظ نسوة بالذكر الحكيم دون أن يحدد من هن: ـ

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [سورة يوسف: ٣٠].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [سورة يوسف:٥٠].

* كما جاء لفظ النساء (دون تحديد) ومشتقاته مثل نساء العالمين ـ نساؤكم ـ نساءنا ـ نساءهم ـ إلى غير ذلك ـ كما يوجد بالمصحف الشريف سورة سميت النساء.

* أما عن نساء رسولنا الكريم محمد صلوات الله عليه: ـ

فقد ورد ذكرهن فى كتاب الله الكريم فى آيات مختلفة حيث جاء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٨].

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٠].

* قد وردت آيات عن زوجات معينات للرسول صلوات الله عليه دون ذكر أسمائهن، فقد جاء عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى تبرئتها مما نسب إليها فى حديث الإفك (١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١١].

* وجاء عن أم المؤمنين زينب بنت جحش (وكانت زوجة لزيد رضى الله عنه) متبنى رسول الله قبل أن يتزوجها الرسول الكريم إذ جاء قول الحق تبارك وتعالى: ـ

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].

* وقد جاء عن مارية (٢) المصرية قول الحق تبارك وتعالى: ـ

---

(١) وذلك عندما تأخرت السيدة عائشة وكانت فى صحبة الرسول الكريم فى غزوة بنى المصطلق عن الرحل بسبب انفراط عقد كانت تلبسه، إذ تأخرت للبحث عن حباته فتحرك الرحل دون الالتفات إلى عدم وجودها فى هودجها وبعد فترة عثر عليها صفوان السلمى وكان يسير خلف الجيش للبحث عن أى شيء ربما نسيه الجند. وكانت تلك الحادثة مصدر اتهام لها ما لبث أن شاع وذاع وقد نزل القول الكريم فى تبرئتها مما نسبه إليها الكذابون الخراصون.

(٢) جاريه مصرية أهداها المقوقس زعيم القبط فى مصر إلى رسولنا الكريم محمد صلوات الله عليه وقيل أن الرسول الكريم قد باشرها فى منزل السيدة حفصة أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب وعلى فراشها. وقد جاء فى كتاب فقه سيرة نساء النبى «سعيد هارون عاشور» فقالت: ـ يا نبى الله لقد جئت إلَيّ شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك فى يومى وفى دورى وعلى فراشى، =

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التحريم:١].

قالت: ـ قد حدثتنا عن السيدة مارية القبطية فحدثنا عن السيدة هاجر زوج خليل الله إبراهيم عليه السلام وولادتها لنبى الله إسماعيل عليه السلام.

أجاب: ـ لم يرد بالقرآن الكريم شيء عن ولادة إسماعيل عليه السلام من السيدة هاجر زوج خليل الله إبراهيم عليه السلام وإليك ما جاء بالتوراة: ـ سفر التكوين بالإصحاح السادس عشر: ـ

وأما ساراى امرأة إبرام فلم تلد له. وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراى لإبرام هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة. ادخل على جاريتى لعلى أرزق منها بنين. فسمع إبرام لقول ساراى. فأخذت ساراى امرأة إبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة إبرام فى أرض كنعان وأعطتها لإبرام رجلها زوجة له. فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينها. فقالت ساراى لإبرام ظلمى عليك. أنا دفعت جاريتى إلى حضنك. فلما رأيت أنها حبلت صغرت فى عينيها. يقضى الرب بينى وبينك. فقال إبرام لساراى هو ذا جاريتك فى يدك. افعلى بها ما يحسن فى عينيك. فأذلتها ساراى. فهربت من وجهها.

وجاء فى كتاب «قصص الأنبياء» للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير: ـ

لما هربت فأتاها ملك وقال لها لا تخافى فإن الله جاعل فى هذا الغلام الذى حملت خيرا. وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابنا وتسميه إسماعيل.

** ولم يسم القرآن الكريم اسم أى من (البنات) ـ جمع ابنة ـ سوى السيدة مريم إذ جاء قوله: ـ

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [سورة التحريم:١٢].

** كما جاء عن بنات الرسول: ـ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٩].

= قال: ـ ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها. قالت: ـ بلى ـ فحرمها وقال لا تذكرى ذلك لأحد، فذكرته لعائشة رضى الله عنها. فأظهره الله عليه.

** كما جاء عن ابنتى شعيب عليه السلام: ـ

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [سورة القصص:٢٧].

** وعن بنات لوط عليه السلام جاء: ـ

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [سورة هود: ٧٨:٧٩].

﴿قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [سورة الحجر:٧١].

** كما جاء لفظ البنات بصفة عامة فى قوله تعالى: ـ

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة النحل:٥٧].

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٤٩].

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [سورة الصافات:١٥٣].

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [سورة الطور:٣٩].

* وقد جاء لفظ فتيات إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ـ

﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ﴾ [سورة النساء:٢٥].

﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة النور: ٣٣].

* كما جاء لفظ أنثى مفردا ومثنىً وجمعا فى قوله تعالى: ـ

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ [سورة آل عمران: ٣٦].

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [سورة النجم٤٥:٤٦].

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٥].

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [سورة الرعد:٨].

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [سورة النساء:١١].

﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة النساء:١٧٦].

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [سورة الشورى:٤٩: ٥٠].

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [سورة الصافات:١٥٠].

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [سورة الإسراء: ٤٠].

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [سورة النساء: ١١٧].

* كما أوضح القرآن الكريم ما أحل للرسول فى الزواج إذ جاء: ـ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأحزاب:٥٠].

ومن تلك الآية يتضح أن الله أحل لنا الزواج من أقربائنا من بنات العم وبنات العمة وبنات الخال وبنات الخالة.

* وقد بين الله سبحانه وتعالى فى آياته المحكمات ما حرم علينا فى الزواج.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ [سورة النساء:٢٣].

* كما وضح القرآن الكريم أحكام تقسيم الميراث، بين الإخوة والأخوات والآباء

والأمهات والأزواج والزوجات. وأحكام الزواج والطلاق والحكم فى تأدية الشهادة وفى غير ذلك. كما يوضح ما للنساء على الرجال وما على النساء للرجال.

قالت: ـ من آيات الكتاب المجيد فى أحكام الزواج والطلاق والميراث والشهادة يتضح أن المولى قد ميز الرجل عن المرأة فى حين أن المرأة عليها من الواجبات قبل خالقها وقبل مجتمعها نفس ما أوجبه على الرجل إذ جاء قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦].

أجاب: ـ يقول جل علاه ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [سورة النساء: ٤٠].

فإذا كان للرجال على النساء درجة فإن ذلك مرجعه إلى ما جُبل عليه الرجل وما جبلت عليه المرأة ـ إلى طبيعة الرجل وطبيعة المرأة وإلى ما ينفق الرجل من ماله. يقول جل شأنه: ـ

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [سورة النساء: ٣٤].

إن الرجل مسئول مسئولية كاملة فى الإنفاق على أسرته، زوجة وأولاد دون النظر إلى ما تملكه الزوجة من مال قل ذلك أم كثر.

خطيئة حواء أم خطيئة آدم

قالت: ـ نعلم جميعا أن حواء وآدم كانا فى الجنة ونهاهما المولى جل شأنه أن يأكلا من شجرة معينة غير أنهما عصيا أمر ربهما فأخرجهما سبحانه وتعالى من الجنة جزاء لهما، وفى رأى الكثيرين أن حواء هى التى أغرت زوجها بالأكل من الشجرة فتسببت فيما حدث لهما. فهل صحيح أن حواء كانت السبب؟

أجاب: ـ جاء بكتاب الله الكريم: ـ

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا

آدمُ هلْ أدُلُّكَ علَىٰ شجَرةِ الْخُلْدِ ومُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ (١٢٠) فأكَلا منْها فبَدتْ لهُما سوْءاتُهُما وطَفقا يَخْصفانِ علَيْهِما من ورَقِ الْجنَّةِ وعَصَىٰ آدمُ ربَّهُ فغوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتبَاهُ ربُّهُ فتاب علَيْه وهَدَىٰ﴾ [سورة طه/١١٧:١٢٢].

من آيات الكتاب المجيد يتضح أن الله سبحانه وتعالى قد وجه الحديث إلى آدم ﴿فقُلْنا يا آدمُ إنَّ هذا عدُوٌّ لَّك ولزوْجك﴾ كما أن الشيطان قد وسوس إلى آدم وليس لزوج آدم ﴿ فوسْوس إليْه الشَّيْطانُ قال يا آدمُ هلْ أدُلُّك علَىٰ شجَرةِ الْخُلْدِ ومُلْكٍ لاَّ يبْلَى﴾ كما جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿وعَصَىٰ آدمُ ربَّهُ فغوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتبَاهُ ربُّهُ فتَاب علَيْه وهَدَىٰ﴾ ومن تلك الآيات أرى أن المسئول الأول فى عصيان أمر الله هو آدم بصرف النظر عمن بدأ بالأكل من تلك الشجرة غير أن التوراة تلقى بالمسئولية كاملة على حواء وأنها هى التى أكلت منها وأغرت زوجها بذلك ـ فقد جاء فى سفر التكوين الإصحاح الثانى: «وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت».

كما جاء فى سفر التكوين الإصحاح الثالث: «وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله فقالت للمرأة: أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر.

قالت: جاء فى كتاب «رحلتى من الكفر إلى الإيمان» قصة اسلام الكاتبة الأمريكية المهتدية/ مريم جميلة ـ دكتور محمد يحيى.

تحت عنوان (مفهوم الخطيئة فى المسيحية والاسلام).

تقول الكاتبة عن تصور الخطيئة فى المسيحية (أن الرب لم يغفر لهما (آدم وحواء) وترتب على ذلك أن كل من يولد من نسلهما يصل إلى الحياة حاملا الخطيئة ولا ترفع عنه ـ إلا بعد أن يتعمد فى الديانة المسيحية ويقبل بالإيمان بالمسيح كابن الرب

الوحيد المولود وفادى خطايا كل البشر وعندئذ يغفر له الإله. وهذا هو مفهوم الخطيئة الأصلية التى يولد بها الطفل وتلصق به من أصله......... ويولد البشر نتيجة لذلك محرومين من الرحمة الإلهية ووارثين للعقاب الذى استحقه أبواهما....... إن التصور المسيحى يصدمنا بضرورة التعميد على يد قسيس كشرط لمجرد رفع خطيئه لم يكن للإنسان أو للطفل المعمد يد فيها ويرتكب الآباء خطيئة عظمى إذا لم يبادروا بتعميد أطفالهم بأسرع ما يمكن لأن الطفل إذا مات دون تعميد لم يدخل الجنة وأقصى ما يطمع فيه حسب رأى بعض المذاهب المتشددة مثل الكالفنية أن يوضع فى أدنى درجات الجحيم عقابا على خطيئة ارتكبها آدم الذى سيجلس على يمين الرب يوم الحساب مع المسيح وصفوة المختارين ليشترك فى حساب البشر).

أجاب: هذا ما يقوله الكاتب على لسان مريم جميلة ونعلم جميعا أن ديننا الإسلامى لا يحمل الخطأ أو الخطيئة إلا على من يرتكبها، فإذا كان آدم وحواء قد أخطآ بالأكل من الشجرة فإن أبناءهما بريئون من تلك الخطيئة. يقول عز من قائل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٦٤]. وقد تكرر نفس القول الكريم فى سور الإسراء/ ١٥، وفاطر/ ١٨، والزمر/ ٧/ .

وفى هذا الصدد جاء على لسان مريم جميلة بعد أن هداها الله جل علاه للإسلام (إن ميلاد كل طفل على الفطرة وعدم تكليفه إلا بعد البلوغ حيث تحسب عليه الذنوب ـ إذا استسلم لوسوسة ـ إبليس أو الحسنات إذا قاوم........ كما أن للإنسان أن يتوب عن الخطيئة أمام الله وحده وفى أى وقت شاء ويطمع فى المغفرة ـ إذا ندم وأحسن التوبة).

علاوه على ما تقدم فإن الله جل علاه قد تاب على آدم من تلك الخطيئة ـ إذ يقول تبارك اسمه ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾.

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة/ ٣٧]. صدق الله العظيم

الشجرة المحرمة والسموم البيضاء

قالت: ـ اختلف المفسرون فى تعريف الشجرة التى حرم المولى سبحانه وتعالى على آدم وحواء الأكل منها فهل لديك تفسير، ما هى تلك الشجرة؟

أجاب: ـ ردا على تساؤلك ـ إليك ما نشر فى صحيفة الأخبار بالعدد الصادر بتاريخ ٦/ ١/ ١٩٨٦ للمؤلف.

سكن آدم وزوجه الجنة وأحل الله سبحانه لهما أن يأكلا منها رغدا فيما عدا شجرة معينة حذرهما من الأكل منها. ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥]. ولكن آدم وحواء لم يمتثلا لأمر ربهما إذ كان الشيطان لهما بالمرصاد. ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [سورة طه/ ١٢٠:١٢١].

* فما هى يا ترى تلك الشجرة التى حرم الأكل منها على آدم وحواء؟

ـ إنها السنبلة فيما يروى عن ابن عباس وهى الكرمة عن ابن مسعود والسدى وهى التينة عن ابن جريج وهى شجرة الكافور عن على بن أبى طالب وهى شجرة علم الخير والشر عن الكلبى وهى شجرة الخلد عن بن جدعان ـ وأغلب المفسرين يتحون نحو اعتبارها شجرة ما من أشجار الجنة ـ ولكننا نعود ونتساءل هل كانت جنة آدم وحواء جنة سماء؟

إن بعض المفسرين يرون أنها كانت فى الأرض. قال عبدالكريم الخطيب أنها كانت فى بلاد اليمن كما قال فضيلة الشيخ الشعراوى أنها مكان فى الأرض فيه كل متطلبات الحياة ولنا أن نتساءل ـ إذن أليس الواجب علينا أن نبحث لمعرفة ما هى تلك الشجرة إذ أن ما حرم على أبوينا لا شك أنه محرم علينا.

عندما أكل آدم وحواء من الشجرة بدت لهما سوءاتهما فى حين أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل علينا جميعا نحن وأبوينا لباسا وريشا يوارى تلك السوءات. ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف/ ٢٦: ٢٧].

فما هى تلك السوءات هل هى عوراتنا التى نحرص نحن البشر على إخفائها الإجابة نعم ولكنها بعض منها وليست جميعها. ولإيضاح ذلك أقول: أليس افتضاح

كذبنا أو خيانتنا أو قيامنا بأعمال تخل بالشرف والصدق والأمانة هى تعرية لنا وإظهار لسوءاتنا. إذاً فما هو اللباس وما هو الريش الذى يوارى تلك السوءات. للإجابة عن ذلك يجب أن نبحث عما يفرقنا نحن البشر عن غيرنا من الحيوان.

إننا كثيرا ما نرى فى حديقة الحيوان ذكورا تأتى بأعمال نابية أو ذكورا وإناثا فى أوضاع غير لائقة. فهل تلك الأعمال تسيء إلى أصحابها من الحيوان. الإجابة طبعا لا لأنها لاتعقل أن أعمالا كهذه تسئ إليها بعكس الإنسان العاقل ولابد أن أؤكد صفة العاقل والدليل على ذلك نجده والعياذ بالله فى مستشفيات الأمراض العقلية حيث نرى من تلك الأعمال ما يثير الشفقة على فاعليها رغم ارتدائهم للملابس (الرياش أو الريش) أو حوزتهم لها فهل تعتبر تلك الأفعال أو الأقوال سوءات بالنسبة لهؤلاء الأشخاص. سوف لا نختلف جميعا فى الإجابة. ألا ترى معى الآن أن المولى سبحانه وتعالى حين يقول أنه أنزل علينا لباسا يوارى سوءاتنا إنما يعنى أنه أنزل علينا لباس العقل الذى كرمنا به سبحانه وتعالى عن غيرنا من الحيوان.

يقول العلماء أن مخ الغوريلا أو الشمبانزى يمتاز بكبر حجمه عن باقى القردة وتلك عن باقى الحيوانات ولكن مخ الإنسان يمتاز بغلافه الخارجى (اللباس) المسمى «CORTEX» وأن هذا الغطاء فى الإنسان الحالى أكبر، أى أكثر سمكا منه فى أنواع الإنسان السابقة ولذلك كانت جبهتنا أعلى أى أكثر ارتفاعا. من ذلك نرى أنه علاوة على اللباس المادى من القطن أو الصوف فنحن نمتلك لباسا أهم بكثير هو لباس العقل الآية الكبرى الذى بواسطته نعمل الإرادة ونخفى سوءاتنا العضوية والمعنوية وفى ذلك يقول المولى جل شأنه: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف:٢٦]. وفى هذا يعنى سبحانه ألا نستعمل ذلك اللباس فى كذب أو خيانة أو خداع لأنه إذا كان فى مقدورنا أن نخدع غيرنا من البشر فليس بمقدورنا أن نخدع الله فهو عليم بذات الصدور.

يمكننا الآن أن نعود بفهم إلى آدم وحواء وما حدث لهما لقد نزع الشيطان عنهما لباسهما، عطل عقليهما فأتيا من الأعمال ما أخجلهما حتى راحا يخصفان على سوءاتهما من ورق الجنة عندما عاد إليهما العقل بانتهاء المفعول. هل يمكننا أن نحزر الآن ما نوع تلك الشجرة. شجرة الخلد كما سماها إبليس اللعين. لقد حرمها المولى سبحانه لأنه يقول أنه يحل لنا الطيبات ويحرم الخبائث وتلك شجرة خبيثة حتى أن

حكومات كثيرة فى العالم قد حرمت زراعتها بعد أن رأت ما عانته شعوب كثيرة وما جرى لأهليها من كوارث مادية وخلقية من تفشى منتجاتها وإدمان مستعمليها. ولا يخفى علينا أن بعضا من دول الاستعمار كان يعمل - وربما يعمل الآن - لترويجها فى بعض البلاد للقضاء الحسى والمعنوى والخلقى والمادى على شعوبها. تلك الشجرة هى شجرة الخشخاش (أبو النوم) أو أحد أقربائها. يقول علماء النبات عن شجرة الخشخاش «PAPAVER SOM NIFERUM» إنها من العشبيات، موطنها الأصلى منطقة غرب آسيا يستخرج من ثمرتها مادة الأفيون وهذه المادة تتركب من عدد كبير من القلويدات أشدها خطرا هو المورفين والكوديين كما يحضر منها الهيروين وهى إذ تسبب راحة نفسية وشعورا بالسعادة فى البداية وبجرعات ضئيلة إلا أن خطورتها الشديدة فى بعثها على الإدمان، وهى تؤثر على مراكز الإحساس فى غلاف المخ «CORTEX» فتبعث على النوم وعلى التخدير ثم تؤدى إلى الشلل التام فى استقبال المؤثرات الخارجية وإلى غيبوبة كاملة، لقد عرف إبليس اللعين خصائص تلك الشجرة وأنها تجلب السعادة «والسلطنة» فى مبدأ تذوقها، ولذلك قال لآدم وحواء أنها شجرة الخلد وملك لا يبلى ولعل منبت الشجرة فى منطقة غرب آسيا وما جاء فى التوراة الإصحاح الثانى عن منشأ آدم فى عدن دليل آخر على صحة ما أستنتج كما جاء فى سفر التكوين الإصحاح الثالث: (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله، فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر). مما جاء فى الكتاب المقدس نرى أن الله سبحانه وتعالى حذر آدم وحواء من الأكل من الشجرة لكى لا يموتا، ألا يعتبر فقدان الوعى نتيجة للتخدير نوعا من الموت. إن زيادة الجرعة من هذه الشجرة كفيل بأن يؤدى إلى الموت الفعلى، ومما يؤكد أن آدم وحواء قد غابا عن الوعى بعد أن أكلا من الشجرة بالقول فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان لأن أعينهما ولا شك كانت مفتوحة قبل الأكل ولو كانا عريانين قبل الأكل من الشجرة

لما قبلا ذلك ولطالما سألت نفسى إذا كنا نعلم عن تناول المخدرات تلك الأضرار المدمرة فلماذا لم نجد شيئا عن تحريمها فى كتاب الله الكريم وأخيراً أرى أننى حصلت على الإجابة: ـ

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ صدق الله العظيم

حواء... ستون ذراعا... من ضلع آدم؟!!

قالت له: ـ يجمع جمهور المفسرين على أن حواء قد خلقها المولى جل علاه من أحد أضلاع آدم، إذ جاء في الذكر الحكيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [سورة النساء:١] يقول العلماء أن النفس الواحدة هى آدم عليه السلام وأن حواء خلقت من تلك النفس الواحدة، آدم.

أجاب: ـ لم يوافق فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده «تفسير المنار» على أن النفس الواحدة هى آدم كما لم يوافق على أن حواء قد خلقت من أحد أضلاعه. يرى فضيلته أن النفس الواحدة هى الإنسانية فالإنسان جميعه أبيضه وأسوده وأصفره، طيبه وخبيثه، قويه وضعيفه، سهله وحزنه تجمعهم جميعا وحدة واحدة هى الإنسانية. أما القول بأن حواء قد خلقت من أحد أضلاع آدم تبعا لقوله سبحانه وتعالى ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [سورة النساء:١] وقوله ﴿هو الذى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١١٨]. وقوله ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [سورة الزمر: ٦]. فيقول فضيلة الشيخ محمد عبده: ـ أنه لايمكننا الموافقة على أن تلك الآيات تعنى أن حواء قد خلقت من آدم ودليل ذلك قوله عز من قائل ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [سورة الروم: ٢١] فإن المعنى هنا على أنه خلق أزواجا من جنسنا ولا يصح أن يراد أنه خلق كل زوجة من بدن زوجها كما هو ظاهر. ويضيف فضيلة الإمام أن القول بأن حواء قد خلقت من آدم لا يمكن الاستدلال على صحته من القرآن الكريم ولكن المفسرين قد أخذوا ذلك عن التوراة. كما يستطرد فضيلته، ولولا ذلك ما خطر على بال قارئ القرآن.

قالت: ـ وماذا ورد بالتوراة عن خلق حواء؟

أجاب: ـ لقد جاء فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام. فأخذ من أضلاعه وملأ مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى. هذه تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت).

قالت: ـ إن ما جاء بالتوراة يتفق مع ما جاء من أحاديث رسولنا الكريم صلوات الله عليه.

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: ـ قال رسول الله ﷺ: استوصوا بالنساء. فإن المرأة خلقت من ضلع. وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته. وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء. (البخارى).

* وعن أبى هريرة قال: ـ قال رسول الله ﷺ: إن المرأة كالضلع. إذا ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها. وفيها عوج. (مسلم).

* وعن أبى هريرة قال: ـ قال رسول الله ﷺ: إن المرأة خلقت من ضلع. لن تستقيم لك على طريقه، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها. كسرتها وكسرها طلاقها. (مسلم).

* وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ: ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمرا فليتكلم بخير، أو ليسكت، استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيرا. (مسلم).

أجاب: ـ لا شك أن فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده قد علم بتلك الأحاديث ومع ذلك لم يأخذ بها. لقد جاء بالأحاديث أيضا أن آدم عليه السلام كان طوله ستين ذراعا أى ما يقرب من خمسة وأربعين مترا، أى ما يقرب من بناء ارتفاعه يزيد على خمسة عشر طابقا، إذ جاء عن أبى هريرة: ـ عن النبى ﷺ: خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة، جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمه الله. فزادوه ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن. (البخارى).

كما جاء عـن أحمد عن أبى هريرة مرفـوعا «كان طول آدم ستين ذراعا فـى سبعة أذرع عرضا ويقول محمد شلبى (حياة آدم):

كان حجم حواء هو حجم آدم، ستين ذراعا فى السماء، ولكن تصغره فى الحجم قليلا، بنسبة ما تصغر الأنثى عن الذكر دائما.

ولنا أن نتساءل ما الحكمة فى أن يخـلق الله ـ جل وعلا ـ آدم وحواء بهذا الحجم وما حـجم الأرجل التـى تستطيع حمـلهما والسير بـهما بل والجـرى عندما تـدعو الضرورة. ولو كان آدم وحواء وذرياتهما بمثل هذا الحجم فكم يا تُرى كميات الغذاء التى تـلزم لبنـاء أجسامهم ولـكى تمدهم بـالطاقة الـلازمة لإجراء جميـع عمليـاتهم الحياتية، وما حجم المساكن التى تلزم لإيوائهم وكميات المواد التى يـصنعون منها ما يغطى أجسادهم. يقول جل علاه: ـ

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف:٢٦].

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سـورة النحل:٨٠].

لقد خلـق المولى جل علاه النبات وسـائر أنواع الحيوان قبل أن يـخلق آدم وحواء وسائر البشر.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ [سورة الأنعام:١٤٠].

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [سورة النحل:٥].

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [سورة النحل:٨].

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [سورة غافر:٧٩].

أطلب ممن يتشبثون بصحة الأحاديث التى نسبت إلى رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه عن خلق آدم وحواء أن نستدل منهم كيف كان آدم وحواء وسائر البشر من ذريتهـم الذين كانوا يقاربـون أحجامهم كيف كـانوا يمتطون ظهور تـلك الأنعام وظهور الخيل والبغال والحمير؟

قالت: ـ ربما كانت أحجام تلك الأنعام والبغال والحمير فى وقت آدم وحواء تتناسب مع أحجامهما.

أجاب: ـ لقد تتبع علماء الحفريات تطور الحصان على مدى ٦٠ مليونا من الأعوام وثبت من تلك الحفريات أن الحصان قد تطور من حيوان بحجم الكلب إلى أن وصل إلى الحصان الحالى. كذلك تطورت الإبل من حيوان صغير إلى الجمل والناقة الحاليين على مدى نفس الحقبة من الزمن، ولم يعثر العلماء على عظام أى من تلك الحيوانات بتلك الأحجام الخرافية.

قالت: ـ أراك تعترض على أن يكون آدم وحواء وما ذكرت من الحيوانات قد خلقهم المولى بهذا الحجم. ألم يخلق المولى عز شأنه كائنات ضخمة مثل الديناصور ـ والحوت؟.

أجاب: ـ إن الديناصور حيوان كان يزحف على الأرض والحوت حيوان يسبح فى الماء، أما اعتراضى فينصب على كائن يمشى منتصبا على قدميه. لقد عثر علماء الحفريات على أحافير تلك الحيوانات الضخمة من الديناصور ولم يعثر هؤلاء العلماء على هياكل عظمية أو عظام لأعضاء مختلفة من إنسان يبلغ طوله مثل هذا القياس رغم عثورهم على عظام مختلفة لأنواع مختلفة من الإنسان البشر (الإنسان الحالى) وأنواع مختلفة من الإنسان سبقت البشر. لو كان آدم وحواء وذرياتهما من البشر بمثل هذا الحجم أو نصفه أو ربعه أو أقل من ذلك لكان فى ذلك فناء البشر من زمن طويل. يقول المولى عز شأنه ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾. ويقول رجال العلم إن أنجح الكائنات الحيوانية فى المعيشة بالأرض هى الحشرات والسبب الرئيسى فى هذا النجاح هو حجمها الصغير.

قالت: ـ لقد حدثتنا عن رأى فضيلة الإمام محمد عبده وما يقوله فى النفس الواحدة ولم تحدثنا عن رأى العلم فى تلك النفس.

أجاب: ـ يقول الحق تبارك اسمه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ إن تلك النفس الواحدة تعنى نوعا واحدا أى أن الناس جميعا هم نوع واحد، وبذلك فقد خلقت الزوجة من نوع زوجها. إن الوحدة التى جاءت بالآية الكريمة (نفس واحدة) إنما هى وحدة الكيف وليست وحدة الكم ـ وحدة النوع (الإنسان) وليست وحدة العدد (آدم).

قالت: ـ ولم الاعتـراض على أن حواء قد خلقت مـن أحد أضلاع آدم. ألاَ يقوم مربو النـبات بأخذ عقلـة من نبات ما ويزرعونـها لتنتج نـباتا آخر، بالمثـل قام الخالق الكريـم بأخذ أحد أضلاع آدم وخلق منه حواء.

أجاب: ـ إن تلك الطـريقة التى يتبعهـا مربو النبات هى إحدى طـرق الاستنساخ وبعبارة أخرى التكاثر الخضـرى وفى طرق الاستنسـاخ لابد أن يأتى الكائـن الجديد مشابـها تماما لـلأصل الذى أخذ مـنه، فلو فرضـنا جدلا بأن حـواء قد خلقـت بهذا الطريق لأنتج آدم ذكرا مثله.

قالت: إن مـا ذكرت ينصـب على قدرة الإنسـان. أليس اللـه بقادر أن يخـلق من الذكر أنثى ـ من آدم حواء؟

أجاب: ـ إن قدرة الله ـ جل وعلا ـ ليست مجالا للشك فهو قادر على كل شىء غير أنه سبـحانه وتعالى قد خلق الـكون جميعه وجميـع أحيائه بقوانين علمـية ثابتة وفى ذلك يقول: ـ

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [سورة الفتح:٢٣]

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [سورة الأحزاب:٦٢]

إن آدم وحواء سواء أكـانا بداية للـبشر أم من الـبشر فإن إنجاب الـذكور والإناث يسير بطريق علمى معروف.

حواء من إنسان إلى بشر

قالت: ـ جاء فى كتاب أبى آدم قول عبدالصبور شاهين بأن آدم وحواء هما سلالة لآباء وأجداد سابقين كمـا يقول أن البشر تطور إلى إنسان وهذا عـكس ما تقول بأن الإنسان قد تـطور إلى بشر، إذ قد جاء فى كـتاب أبى آدم أن معنى بشر هـو (الظهور مع حسن وجمال) والمـعنى المناسب هنا هو ظهور هذا المخـلوق من بين تراب وماء، أى: من طين، وكان خلـقه بكل بساطة كما ظهـرت النباتات وهو ما يتمـثل فى قوله تعالى فـى سورة نوح، ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾ [سورة نـوح: ١٧] ومع أن كل حيوان أو طير أو حشرة ـ إلى آخر سلسلة الـكائنات هو من طين، فإن البشر هو أبرز

هذه المخلوقات، وأكدها وجودا، فلذلك أطلق عليه فى القرآن (البشر) أى: الظاهر على كل الكائنات الطينية.... يسخرها لخدمته، ويستمد منها قُوتَهُ وقُوّته.

كما يضيف عبدالصبور شاهين:

أنه لم يعد للبشر وجود منذ ظهر آدم عليه السلام وأن البشر وهم طلائع الخليقة لا مكان لهم فى عالمنا لأنهم بادوا ودرست آثارهم فلم تبق منهم سوى أحاديث وأحافير تدل على أنهم كانوا موجودين... كما جاء أيضا: ـ لقد كان البشر خلال الأحقاب والعهود المتطاولة مجرد مخلوقات متحركة، حيوانية السلوك وربما كان هذا هو المقصود بسؤال الملائكة للرب ـ جل وعلا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ كان هذا هو الواقع المشاهد، فتعجبت الملائكة من استخلاف هؤلاء المفسدين المتوحشين.

. كما جاء أيضا (البشر) لفظ عام فى كل مخلوق ظهر على سطح الأرض يسير على قدمين منتصب القامة و(الإنسان) لفظ خاص بكل من كان من البشر مكلفا بمعرفة الله وعبادته، فكل إنسان بشر وليس كل بشر إنسانا، ولذلك يقول أن العلماء قد أطلقوا خطأ أو تجاوزا أسماء إنسان جاوه وإنسان بكين وانسان كينيا وكان يجب تسميتهم بشر بكين وبشر جاوة وبشر كينيا وبشر النياندارتال.

ويستطرد سيادته قائلا إن الإنسان فى مفهوم القرآن لا يطلق إلا على ذلك المخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة لا غير وهو الذى يبدأ بوجود آدم عليه السلام وآدم ـ على هذا ـ هو (أبو الإنسان) وليس (أبو البشر) ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله ـ تمهيدا لظهور ذلك النسل الآدمى الجديد اللهم إلا اعتباره من نسلهم، ولأمر ما وجدنا أن القرآن لا يخاطب البشر.... بل يخاطب الإنسان والتكليف الدينى منوط بصفة (الإنسانية) لا بصفة (البشرية).

أجاب: ـ من الواضح أن الأمور قد اختلطت على مؤلف كتاب أبى آدم ـ فالإنسان قد ظهر قبل البشر وبذلك يكون كل بشر إنسانا وليس كل إنسان بشرا، حقيقة جاءت بكتاب الله الكريم وتؤيدها آيات كثيرة بالكتاب المجيد.

علاوة على ذلك فقد أثبتتها الحفريات التى عثر عليها المختصون من رجال العلم جاء فى كتاب الله العزيز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن

صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة الحجر٢٦:٢٩].

يقول عز من قائل إن الإنسان قد خلق فعلا عندما اتجه الخلاق العليم بالقول إلى الملائكة بأنه يقوم بخلق أو سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وعندما يتم تسوية هذا البشر والنفخ فيه من روحه العلية فعلى الملائكة أن تسجد له.

وجاء فى تفسير المفسرين قاطبة أن ذلك البشر الذى ستتم تسويته والنفخ فيه من روح خالقه هو آدم عليه السلام ـ ويستنتج من ذلك أن آدم وذريته كانوا بشرا سويا.

أما القول بأن البشر لم يعد لهم وجود منذ ظهر آدم عليه السلام فيرد عليه بأن جميع الرُسل والأنبياء الذين بعثهم الحق تبارك وتعالى إلى بنى آدم قد نص بالقرآن الكريم على أنهم بشر.

وإليك ما جاء بكتاب الله الكريم عن الرسل أجمعين بما فيهم رسولنا الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه.

** عن آدم عليه السلام: ـ

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر:٢٨].

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر:٣٣].

** عن هود عليه السلام: ـ جاء فى تفسير الجلالين عن سيدنا هود:

﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٣٣:٣٤].

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ [سورة القمر:٢٤].

** عن سيدنا نوح عليه السلام: ـ

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ [سورة هود:٢٥:٢٧].

﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ [سورة المؤمنون:٢٤].

** عن صالح عليه السلام: ـ

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٥٣:١٥٤].

** عن موسى وهارون عليهما السلام: ـ

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٤٥:٤٧].

** عن شعيب عليه السلام: ـ

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة الشعراء ١٨٥: ١٨٦].

** عن يوسف عليه السلام: ـ

﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة يوسف:٣١].

** عن الرسول الكريم محمد (ﷺ).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:١١٠].

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [سورة الإسراء:٩٣:٩٤].

﴿هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٣].

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٣٤].

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:٧٩].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة فصلت:٦].

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر:٢٥].

** كما جاء على لسان السيدة مريم: ـ

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [سورة آل عمران:٤٧].

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [سورة مريم:٢٠].

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [سورة مريم:٢٦].

** كما جاء على لسان الرسول الكريم عن اليهود والنصارى الذين يدعون أنهم أبناء الله: ـ

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة:١٨].

** كما جاء عما قاله اليهود: ـ

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام:٩١].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل:١٠٣].

** عن رسل أرسلوا إلى «أصحاب القرية»: ـ

﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [سورة يس:١٥].

** عن رُسل لم تذكر أسماؤهم: ـ

﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ

مُبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [سورة إبراهيم: ٩:١٠].

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [سورة التغابن: ٦].

** وعلاوة على ذلك فقد نص فى كثير من الآيات على أننا جميعا المكلفون بعبادة الحق تبارك اسمه أننا جميعا بشر: -

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [سورة الروم: ٢٠].

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [سورة الشورى: ٥١].

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر:٣١].

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر:٣٤،٣٥،٣٦].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [سورة الفرقان:٥٤].

ومن كل ما تقدم نرى أن الله سبحانه وتعالى قد وصف جميع الرُسل والأنبياء بأنهم بشر، بل إنه قد وصفنا جميعا الذين كلفهم بعبادته أننا بشر وليس لمؤلف كتاب أبى آدم أن يحتج قائلا أن وصف جميع الرسل والأنبياء بأنهم بشر لا يتعارض مع أنهم قد تحولوا إلى إنسان (إذ أن كل إنسان بشر) مادام يقول أن الإنسان لفظ خاص بكل من كان من البشر مكلفا بمعرفة الله وعبادته إذ لو كان رأيه صحيحا لوجب أن يوضع جميع الرسل والأنبياء فى مرتبة الإنسان لا مرتبة البشر الذين قد وصفهم سيادته بأنهم مجرد مخلوقات متحركة ، حيوانية السلوك عجبت الملائكة من أمر استخلاف أولئك المفسدين المتوحشين بل وأكثر من ذلك يقول نفس المؤلف أن البشر لم يعد لهم وجود منذ ظهر آدم عليه السلام فى حين يسمينا المولى نحن جميعا البشر.

قالت: ـ يقول لنا المولى جل علاه «يا أيها الإنسان.. يا أيها الناس» ولم يوجه المولى الكريم قوله ولو مرة واحدة يا أيها البشر؟

أجاب: ـ سبق أن ذكرنا أن الله جل علاه قال: ﴿إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة إبراهيم:١٩]﴿إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيراً﴾ [سورة النساء:١٣٣].

ولعل فى ذلك إجابة لماذا لم يقل لنا المولى جل علاه يا أيها البشر، أما قوله يا أيها الإنسان، ويا أيها الناس رغم أنه سبحانه وتعالى قد خلق أنواعا أخرى من الإنسان وأشباه الإنسان فذلك لأن جميع تلك المخلوقات من الإنسان وأشباه الإنسان المخالفة للبشر قد اندثرت منذ ملايين السنين ولم يبق على ظهر الأرض إلا نحن الإنسان البشر ونحن الناس.

من لوسى إلى حواء

قالت: ـ إن لم تكن حواء خلقت من أحد أضلاع آدم، فكيف خلقت إذن؟

أجاب: ـ إن طريق خلق حواء هو نفسه طريق خلق آدم وقد تناولت طريق خلق آدم تفصيلا فى كتابين سابقين: ـ (خلق الإنسان بين العلم والقرآن) و(من الوحى إلى دارون ـ قضية الخلق) وسوف أجمل لك ما جاء بهما: ـ

* يقول علماء التطور إن الإنسان البشر قد خلق متطورا عن أنواع أخرى تسبقه من الإنسان، كان فراغ الجمجمه بها (وبالتالى حجم المخ الذى تمتلكه) أقل من فراغ الجمجمة للإنسان البشر كما لم تكن معتدلة القامة تماما كالإنسان الحالى، وقد تدرجت تلك الأنواع فى حجم المخ واعتدال القامة وأبعد تلك الأنواع قد نشأ عن كائن آخر حجم جمجمته مساو لجمجمة الشمبانزى والغوريلا ويمتلك أسنانا مشابهة للإنسان وكان يمشى علّى قدمين لا على أربع كما يمشى الشمبانزى والغوريلا، غير أن ذراعيه كانتا طويلتين مثل ذراعَىْ القردة المذكورة وقد أطلق على هذا الكائن اسم الإنسان القرد وبذلك أثبت علماء الحفريات أن الإنسان الحالى ـ وقد سماه الخالق الكريم بشرا ـ قد انحدر عن آباء وأجداد سابقين وأكثر من ذلك

فإن هؤلاء الأجداد قد انحـدروا من كائنات تسبقهم وهؤلاء مـن كائنات أسبق، أى أنهم لا ينفصلون عن شجرة الأحياء التى بدأت منذ ثلاثة آلاف ومائة مليون سنة يوم خلق المولى جل علاه أول كـائنات من خلية حية. أى أن شجرة الأحيـاء جميعها (بما فيها البشر) قد بدأت بداية واحدة وفـى ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بدأ الخلق﴾ (*).

ويعترض علماء الدين على أن آدم له آباء وأجداد سابقون قائلين أنه خلق مباشرة من تراب ـ إذ جاء قوله جل علاه: ـ

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾.

ويرد المؤلـف قائلا: نعلـم جميعا أن عيـسى عليه الـسلام خلق من مـريم العذراء ومريم هى ابنـة عمران، أى أن لها ولأبيها أجـداداً سابقين ومع ذلك يقـول أن عيسى قد خلـق من تراب شأنـه شأن آدم عليـه السلام بل يـقول المولى جـل علاه عنا نـحن جميـعا أبناء آدم أنـنا خلقنـا من تراب رغم أن لنـا آباء وأجداد، إذ يقـول جل علاه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ لقد خلقنـا من تراب لأن آبانا آدم قد خلق من تراب، وكذلـك آدم قد خلق من تراب لأن له آبـاء وأجداد يـعودون إلـى الوراء إلـى بدء خـلق الأحـياء مـن تراب ويـقول المفسرون أن آدم خلقه الله من طين إذ جاء قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ يقول المؤلف ليس آدم وحده الذى خـلق من الطين بـل الإنسان جميعه إذ يقـول سبحانه﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ ﴿هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا﴾ ويقول المفسرون لقد خلق آدم من صلصال من حمأ مسنون إذ يقول جل شأنه عن آدم عليه السلام ﴿إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون﴾ ويرد المؤلف قائلا: لـيس آدم وحده الذى خـلق كذلك. بـل الإنسان جمـيعه إذ يقـول جل علاه: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ كما يقول ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ ويقول المفسرون أيضا لقد خلق اللـه سبحانه وتعالى آدم تمثالا من طين ثم تركه ليجف ٤٠ سنة وذلك تفسيرا لقوله: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن

(*) الخلق هنا تعنى المخلوقات ـ حسب تعريف معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية).

شيئا مذكورا﴾ ويستطردون قائلين إن ذلك الحين من الدهر هو أربعون سنة ترك فيها تمثال آدم ليجف ويصلصل كالفخار قبل أن ينفخ الله فيه من روحه، ويرد المؤلف قائلا: إذا كنتم تقولون أن آدم قد خلق من طين فى التو واللحظة بكلمتى كن فيكون فهل يستدعى جفافه مدة أربعين سنة؟ ويستطرد المؤلف قائلا بعد تلك الآية المذكورة جاء قوله سبحانه ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾. فيقول المفسرون إن ذلك الإنسان الأخير هم أبناء آدم الإنسان الذى ذكر أولا ويرد المؤلف قائلا: ـ إن التفسير المنطقى الذى يتفق مع العلم أن الإنسان الذى جاء أولا هو أنواع الإنسان السابقة للبشر ـ السابقة لآدم وأن هذا الإنسان علاوة على الإنسان الذى ذكر أخيرا قد خلقوا جميعا من نطفة أمشاج أى نطفة ممتزجة من آبائهم وأمهاتهم. ويجيب المؤلف عن التساؤل كيف خلق آدم فيقول: ـ لقد خلق من آباء وأمهات سابقين لهم يعودون إلى الوراء إلى بدء المخلوقات الحية جميعها من طين، ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى فى سورة السجدة: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ ومن ذلك يتضح أن من سواه ونفخ فيه من روحه هو آدم وأن آدم هو نتاج سلالة خلقت من ماء مهين أى من نطف أمشاج سابقة وأن تلك السلالة هى نسل لإنسان بدأ خلقه من طين، إذ يؤكد ذلك ما جاء فى سورة المؤمنون قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. فى تلك السورة يقول الحق عز من قائل أنه خلق الإنسان من سلالة من طين أى سلالة لكائنات خلقت من طين، ثم جعل الخالق الكريم الإنسان نطفة فى قرار مكين تطورت وتشكلت إلى علقة فمضغة إلى أن أنشأه الله خلقا آخر، هناك فرق بين بدء خلق الإنسان من طين كما جاء فى سورة السجدة وبين خلقه فعلا من سلالة من طين فى سورة المؤمنون.

قالت: ـ لم توضح ما هو موقع لوسى (التى انحدرت منها حواء) من الكائنات على شجرة الأحياء؟

أجاب: ـ يوضح المؤلف موقع الإنسان البشر بالنسبة لشجرة الأحياء فيقول أنه من صنف الثدييات أى الحيوانات التى ترضع أبناءها وتشتمل تلك المرتبة على مراتب أقل منها تسمى كل منها الرتُبة والإنسان يقع فى رتبة الرئيسيات، وتمتاز

أجناس تلك الرتبة بأن لها يدا ذات ٥ أصابع يتحرك الإبهام حركة عمودية مع باقى الأصابع، وبذلك يمكن لليد أن تقبض على الأشياء فتتناول أفراد تلك المجموعات الطعام بيدها بدلا من أن تمد ـ إليه أفواهها مثل باقى الثدييات كما تمتاز برأس كبير الحجم نسبيا «بالنسبة للجسم» ووجه عمودى وأعين ترى فى أبعاد ثلاثة: الطول والعرض والعمق كما أن رغبتها الجنسية مستمرة طول العام وليست فى موسم معين فقط وغير ذلك من صفات يشترك الإنسان فيها مع القردة والقردة العليا (الشمبانزى/ الغوريلا/ الجيبون/ إنسان الغابة) ويتساءل الكثيرون هل معنى ذلك أننا قد انحدرنا عن أحد أنواع تلك القردة ويجيب دارون المُفْتَرى عليه ـ بالتأكيد لا بل يعنى ذلك أن أسلافنا البعيدة وأسلاف تلك الحيوانات يلتقيان معا فى كائن مشترك «جد مشترك» خرج منه فرعان فرع أدى إلى تلك القردة وفرع أدى إلى الإنسان الحالى ـ الإنسان البشر.

وقد بدأ ظهور الثدييات على الأرض منذ ثلاثة وستين مليونا من الأعوام وظهرت الرئيسيات منذ ٣٠ مليونا من السنين، وقد بدأ الخط الإنسانى فى الظهور منذ أكثر من مليون سنة. يختلف الإنسان الحالى عن القردة العليا فى حجم فراغ الجمجمة فهو فى الغوريلا والشمبانزى ٥٢٠سم٣ (سنتيمتر مكعب) وفى الإنسان الحالى ١٤٢٥سم٣ وتلتقى الجمجمة مع باقى العمود الفقارى بثقب كبير يسمى الثقب المؤخرى وهو فى وسط الجمجمة تماما للإنسان الحالى، ولكنه يقع فى حافة الجمجمة للقردة العليا وتختلف نسب الأطراف إلى بعضها «الأذرع والأرجل» إذ أن الذراعين طويلان فى القردة المذكورة بالنسبة لطولهما فى الإنسان، ويعتبر العلماء أن وجود الثقب المؤخرى فى وسط الجمجمة تماما يعنى أن النوع الذى يمتلك تلك الصفة يمشى على قدميه مستقيما أى معتدل القامة. وقد أورد المؤلف العثور على حفريات لأنواع من الإنسان فى تواريخ مختلفة تتدرج فى حجم فراغ الجمجمة من حجم يساوى حجم جمجمة الغوريلا إلى حجم الإنسان الحالى. كما تتدرج فى اعتدال قامته، من أمثلتها ـ انسان بكين، انسان جاوا، والإنسان معتدل القامة، وإنسان نياندرتال، وأخيراً الإنسان الكروماجنون وهو الإنسان الحالى. غير أن أهم ما عثر عليه العلماء من الحفريات كان سنة ١٩٧٤ إذ عثر العلماء فى الحبشة على هيكل عظمى لأنثى كانت جمجمتها مساوية لجمجمة القردة العليا غير أن عظام الفك

والأسنان تشبه فك وأسنان الإنسان كما أن تلك الأنثى كانت تمشى على قدمين وكانت ذراعاها طويلتين بالنسبة لرجليها ويقدر العلماء عمرها بحوالى ثلاثة ملايين سنة وقد أطلق العلماء عليها اسم لوسى أما اسمها العلمى فقد سميت «القرد الجنوب أفريقى» أو الإنسان القرد، وتعتبر الحفريات التى ذكرت هو الخط الذى تطور فيه الإنسان الحالى من إنسان يجمع بين صفات القردة العليا (لوسى) إلى الإنسان الحالى الإنسان البشر. ويرى المؤلف أن القردة العليا والقرد الجنوب أفريقى «الإنسان القرد» وأنواع الإنسان المختلفة مع الإنسان الحالى هم جميعهم ما سماهم المولى عز وجل فى كتابه الكريم الأناسىّ غير أن ما يوجد على الأرض الآن هم فقط القردة العليا والإنسان الحالى الإنسان البشر، أما باقى الأنواع فقد عاشت على الأرض واندثرت منذ زمن بعيد. يقول جل علاه: ـ

﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا . لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسىَ كثيرا﴾.

قالت: لقد أحطتنا بكثير من الغموض، فأين آدم من هؤلاء الذين ذكرت؟

أجاب: يقول العلماء أن إنسان جاوا وإنسان بكين والإنسان الماهر والمعتدل القامة لم يصلوا إلى مرتبة الإنسان الحالى ـ الإنسان البشر. أما إنسان نياندرتال فقد وجد على الأرض منذ حوالى ٢٠٠ ألف سنة وانتهى وجوده منذ ٣٠ ألف سنة إذ حل محلهم إنسان الكروماجنون.

هناك الكثير من الاختلاف فى شكل الجمجمة وعظام الذراعين والفخذ والأرجل غير أن حجم فراغ الجمجمة (أى حجم المخ) متقارب فى كلا النوعين. لم يصل العلماء إلى رأى قاطع هل كان النياندرتاليون إنسانا مشابها للإنسان الحالى. يقولون إن هؤلاء قد عرفوا دفن الموتى ـ فهل كانوا كاملى العقل مثل الإنسان الحالى. يقول المؤلف أن المولى جل علاه قد نص على أن الإنسان الحالى هو إنسان بشر أى أنه بادى البشرة لا يغطى جسمه بالشعر، كما أن المولى سبحانه وتعالى قد نفخ فيه من روحه. تلك الصفة الأخيرة لا يمكن للعلماء أن يتوصلوا إلى معرفتها من الحفريات وبمعنى آخر لا يمكن أن نعرف هل النياندرتاليون قد نفخ الله فيهم من روحه ويستطرد المؤلف قائلا: لو أمكن لرجال العلم أن يتوصلوا إلى معرفة متى بدأ ظهور

الإنسان الذى لا يغطى جسمه بالشعر ـ الإنسان البشر ـ لأمكن معرفة متى بدأ ظهور البشر، وبمعنى آخر متى بدأ ظهور آدم ، سواء أكان أبا للبشر أو أحدا من البشر.

قالت: لقد قصرت حديثك على خلق آدم ولم توضح كيف خلقت حواء؟

أجاب: إن خطوات خلق حواء هى نفسها خطوات خلق آدم إذ تعتبر لوسى (الإنسان القرد) هى الجد البعيد لكليهما. نشأ من ذلك الجد أنواع الإنسان المختلفة نوعا من نوع ذكورا وإناثا إلى أن ظهر الإنسان البشر ـ آدم وحواء. يقول المولى عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء:١] وتلك الآية الكريمة تعنى ضرورة أن تكون الزوجات من نفس نوع الأزواج لكى ينتجوا ذريات متعاقبة جيلا وراء جيل. فالحصان والحمار نوعان مختلفان إذ ينتج عن تزاوجهما البغل وهو حيوان عقيم وبذلك تنقطع عنده سلسلة التكاثر.

قالت: هل تعنى بذلك أن تطور الإنسان البشر من لوسى إلى أنواع مختلفة من الإنسان ثم إلى البشر قد نتج عنه فردان اثنان، آدم وحواء؟

أجاب: ـ من الناحية العلمية جائز يقول جل علاه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣].

لقد اصطفى الله آدم وربما يكون هذا الاصطفاء أبا للبشر أو واحدا من البشر لم يشأ المولى جل علاه أن يتركنا كلقطاء فى عالم الأحياء من نبات وحيوان وإنسان فسمى لنا أبانا آدم، أما اسم حواء فكما سبق ذكره لم يرد فى كتاب الله الكريم.

** جاء فى كتاب «آدم وحواء.. من الجنة إلى أفريقيا» لـ عبدالهادى مصباح:

أن الدراسات العديدة التى أجريت فى أماكن مختلفة من العالم قد أثبتت أن جميع السلالات البشرية تعود إلى أب واحد هو آدم وأم واحدة هى حواء وأنهما قد عاشا فى أفريقيا منذ مائتى ألف عام ومن أفريقيا بدأت هجرة البشر إلى آسيا ثم إلى أستراليا وبعد ذلك إلى أوروبا ثم الأمريكتين. وفى إحدى هذه الدراسات التى أجريت فى جامعة كاليفورنيا بركلى عن أصل الإنسان من ناحية الأم وذلك من خلال تحليل بصمة الحامض النووى الموجود فيما يسمى «بالميتوكوندريا» وهى الجزء الموجود بالخلية البشرية الحية والمسئول عن توليد الطاقة بها، وهو موروث من الأم

فقط، ويحمل ٣٧ نوعا من الجينات فقط بينما يكون الحامض النووى الموجود داخل نواة الخلية موروثا من كل من الأم والأب معا، ويحمل حوالى مائة ألف جين، ولذلك فضل هؤلاء الباحثون دراسة الحامض النووى للميتوكوندريا لكى يستطيعوا أن يتتبعوا التغير الذى حدث فى الجينات والطفرات الموجودة عبر الأجيال فى عينات من بلاد وقارات مختلفة من شتى أنحاء العالم لمعرفة أصل الأمومة فى هذا الكون.

وقد أجريت دراسة أخرى بعنوان أولاد حواء من مركز الدراسات البيولوجية فى بوسطن بالولايات المتحدة لنفس الغرض، وقد أظهرت الدراستان وعدة دراسات أخرى فى نفس الموضوع فى أماكن من العالم أن كل البشر الموجودين على سطح الكرة الأرضية يرجع أصلهم إلى امرأة واحدة هى بالطبع أمنا حواء، التى عاشت فى أفريقيا منذ حوالى مائتى ألف عام، وأن كل سلالات البشر التى ولدت بعدها خرجت أساسا من القارة الأفريقية إلى كل أنحاء العالم بعد ذلك.

وقد أيدت دراسة أخرى فى جامعة ستانفورد بالولايات المتحدة نفس هذه النتائج ولكن من خلال تحليل الحامض النووى لنواة الخلية وليس الحامض النووى للميتوكوندريا.

وهناك دراسة أخرى لتتبع الأصل الذكرى للبشرية من خلال تحليل الحامض النووى دى ـ إن ـ إيه وتتبع تسلسل الصفات الوراثية والجينات على الكروموزوم الذكرى «Y» وقد خرجت نتائج هذه الدراسات من أكثر من جامعة ومركز للبحث العلمى كان آخرها تلك الدراسة التى أعلنتها إحدى الجامعات الفرنسية، والتى تؤكد أن تحليل الحامض النووى على الكروموزوم الذكرى يؤكد أن البشر جميعا مولودون لأب واحد هو بالتأكيد سيدنا آدم وأنه كان يسكن أفريقيا فى الفترة ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ألف سنة مضت.

قالت: ـ لقد ذكرت أن إنسان النياندرتال قد عاش على الأرض منذ مائتى ألف سنة، فهل يعنى ذلك ـ بناء على الدراسات الأخيرة ـ أن آدم وحواء كانا نياندرتاليين؟

أجاب: ـ لو أمكن للعلماء دراسة الحامض النووى لهياكل عظمية من إنسان النياندرتال، وهل يحمل جينات لنمو الشعر على الجسد أو يحمل جينات مضادة لتلك الصفة لأمكن معرفة هل كان النياندرتاليون بشرا أم إنسانا سابقا للبشر. ربما

تمكن العلماء من الإجابة عن ذلك فى القريب العاجل وإليك ما جاء بجريدة الإهرام بتاريخ ١٦/ ٣/ ١٩٩٧ . تحت عنوان قرابة عائلية طريفة.

فى إضافة علمية جديدة وطريفة فى نفس الوقت، وجد علماءالأنثروبولوجيا صلة قرابة بين هيكل كامل لإنسان عمره ٩ آلاف عام يعود للعصر الحجرى، وبين مدرس تاريخ بريطانى يبلغ من العمر ٤٢ عاما. وقد تم هذا الاكتشاف المثير الذى يُعد انتصارا جديد للعلم، عن طريق تحليل الحامض النووى للهيكل ومقارنته بنتائج الاختبارات التى أجريت على عدد من طلاب وتلاميذ إحدى المدارس الإنجليزية التى تقع فى منطقة «شيدر جورج» وهو الموقع الذى تم فيه اكتشاف الهيكل. وقد استغرقت الأبحاث التى أجراها فريق العلماء من جامعة أكسفورد مع زملائهم من متحف التاريخ الطبيعى شهورا حتى تمكنوا من استخلاص مادة الـ «دى إن إيه» من عظام الهيكل الذى اكتشف عام ١٩٠٣ فى أحد الكهوف فى منطقة سومرست أثناء أعمال الحفر لمد شبكات وأنابيب المياه. وقد أعقب فصل الحامض النووى إجراء التجارب على عينات من مدرسى وتلاميذ المدرسة، فى محاولة لإيجاد علاقة بين إنسان العصر الحجرى ونظرائه المعاصرين. حيث أظهرت نتائج التحليل وجود علاقة مباشرة بين هذا الهيكل، وأدريان تارجت مدرس التاريخ الذى أجرى الاختبارات بالصدفة، ليساهم فى استكمال العدد المطلوب.

وقد أشار منتج البرنامج التليفزيونى الذى أعد سلسلة حلقات عن التاريخ الأثرى لمنطقة سومرست، أنهم مندهشون بشدة من نتائج الاختبارات التى روعى فى إجرائها أن تتم على التلاميذ والمدرسين الذين عرف عن عائلاتهم تواجدهم فى هذه المنطقة منذ عدة أجيال. وأوضح أن نتائج الاختبارات أظهرت بما لا يدع مجالا للشك أن شخصين على الأقل ينحدران من سلالة هذا الهيكل.

ويقول أحد العلماء عن الهيكل الذى يوجد فى حالة جيدة فى متحف التاريخ الطبيعى أنه شىء غير معتاد أن يظل الحامض النووى سليما طوال هذه المدة، مما ساعدهم على استخلاص وإجراء التجارب عليه، مشيرا إلى أن الكهوف التى توجد فى منطقة شيدر تعد مكانا ممتازا لحفظ الهياكل البشرية لأن الاحجار الجيرية التى توجد فى هذه الكهوف تساعد فى الحفاظ على سلامة الأملاح المعدنية التى توجد فى العظام وعلى سلامة الحامض النووى كذلك. وقد علق المدرس على هذه القرابة

العائلية الغربية، بـأنه رغم الدهشة التى تعتريه سيعمل على ضـم هذا الهيكل لشجرة العائلة.

حواء خلقت من ماء

قالت: ـ تدعى أن لوسـى وقومها هم الجد البعيد لآدم وحـواء وقد صدر فى سنة ١٩٩٨ كتاب أبى آدم ـ لـ عبد الصبور شاهين وفيه يوضح أن العلماء لم يتفقوا على أن الإنسـان الحالـى قد انحـدر عن الكـائن الـذى أطلق عـليه اسـم لوسـى بل أورد عبدالصبور شاهـين صورة بعنوان لوسى ـ حطمت النظرية الـداروينية ـ ٢ ,٣ مليون سنة.

وإليك بعـض ما قاله العلـماء فى هذا الصدد فى ذلـك الكتاب معارضـين لمقولة دارون : ـ جاء فى جريدة الأهرام خلال شهر يونيو ١٩٩٦ :

ما تضـمنه بحث عـلمى يهدم نظـرية داروين القائـلة بأن الإنسان أصـله قرد ، أو منحدر من إحدى سلالات القردة العليا.

تحدى العـلماء البريـطانيون الرأى الـعلمى السـائد بأن الإنسان الأول كـان يمشى معـتمدا عـلى يديـه ورجليـه مثل الـشمبانـزى، وقال العـلماء فـى جامعـة ليفـربول البريطانية أن الرأى الأرجح هو أن الإنسان الأول كان يسير منتصب القامة، تماما مثل الإنسان، اليوم. وأوضـحوا أنه لو كان الإنسان القديم يـسير منحنيا كـما تصور ذلك بعض النظريات العلـمية فإنه لم يكن من الممكن أن يعتدل فى قـامته، ويسير كما هو الآن أبـدا.

ولقد نشرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر صباح الأربعاء ٨/ ١١/ ١٩٧٢ أن البروفيسور ريتشارد ليكى أحد علماء الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) أعلن فى كينيا أنه تمكن من اكتشاف بقايا جمجمة يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف مليون عام ، وتُعد أقدم أثر من نوعه للإنسان الأول.

وقد قدم ريـتشارد ليكـى تقريرا عن اكتـشافه وقال أن نظـريات التطور الحـالية ـ وعلى رأسـها نظريـة داروين ـ تفيـد أن الإنسان تطـور من مخلـوق بدائى كانـت له سمات بدنية شـبيهة بسمات القرد ، وأن أقدم أثـر للإنسان كمخلوق منتـصب يسير

على رجلين ، وله مخ كبير ـ يرجع إلى نحو مليون سنة. هذا فى حين أن الكشف الجديد يدل على أن المخلوق الإنسانى المنتصب ذا الساقين لم يتطور عن المخلوق البدائى الذى يشبه القرد بل كان يعاصره منذ أكثر من مليونين ونصف مليون عام ، وأنه يمكن على هذا الاعتبار استبعاد المخلوق البدائى الأول على أساس أن الإنسان انحدر من سلالته.

كما أذاع البروفيسور جوهانس هوردلر ـ العالم الذرى فى مارس ١٩٥٦ بيانا عارض فيه نظرية داروين. وقال أنه لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالة القرد وأن التجارب الواسعة التى أجراها دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة وهو يعيش منفردا وبعيد جدا.

وقد أيد الدكتور رويتر فى ٣١ مارس ١٩٥٦ الرأى السابق، وبذلك اعتبرت نظرية داروين لا تستند إلى أى دليل علمى وأن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع استقلالا تاما فمنها الإنسان الذى يمشى على رجليه ومنها الدواب التى تمشى على أربع ومنها الزواحف التى تمشى على بطونها.

أجاب: ـ إن مثل من يستشهد بمراجع صدرت فى سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٧٢ كمثل من يستشهد بمراجع جاء بها أن الذرة لا تنقسم.

إن من سميت باسم لوسى قد اكتشف هيكلها العظمى فى الحبشة فى سنة ١٩٧٤ وقد قدر عمرها بأكثر من ثلاثة ملايين سنة ومن هيكلها ثبت للعلماء ـ كما ذكرنا ـ أنها كانت تمشى على قدمين وأن ذراعيها طويلتان بالنسبة لرجليها وأن حجم جمجمتها مساوية لجمجمة الغوريلا، غير أن أسنانها كانت شبيهة بأسنان الإنسان كما أن عظمة الفك كانت على شكل حدوة الفرس وهى صفة إنسانية، أما الاسم العلمى لتلك الحفرية فهو Australopithecus africanus ومعناه القرد الجنوب أفريقى وقد أطلق هذا الاسم العالم الاسترالى ريمون دارت فى سنة ١٩٢٤ على جمجمة عثر عليها فى جنوب أفريقيا كانت مساوية فى حجمها لجمجمة الغوريلا غير أن أسنانها وشكل الفك كانت مشابهة لأسنان وفك الإنسان، كما أن ما يطلق عليه اسم الثقب المؤخرى الذى يصل الجمجمة بالعمود الفقارى كان فى منتصف الجمجمة تقريبا وتلك الصفة الأخيرة قد استدل منها العالم المذكور على أن

صاحب تلك الجمجمة كان يمشى على رجلين لا على أربع وكان عمر تلك الحفرية مليونا من السنين.

عارض العلماء رأى ريمون دارت معارضة شديدة فى ذلك الحين. وعندما اكتشفت ما سميت لوسى فى سنة ١٩٧٤ اتضح بما لا يدع مجالا للشك أن ما استنتجه ريمون دارت فى سنة ١٩٢٤ كان صحيحا إذ أن لوسى قد عثر على هيكلها العظمى كاملا تقريبا، وكما ذكرنا كانت تمشى على قدمين ومن ذلك يتضح أن الإنسان الحالى انحدر عن جد يمشى على رجلين ولكنه يمتلك كثيرا من صفات القردة العليا أى أن الإنسان لم ينحدر عن أى من تلك القردة كما يقول بعض العلماء الذين يخلطون الأمور.

قالت: ـ لقد جاء فى كتاب أبى آدم أيضا: ـ

أن العلماء أشاروا إلى أنهم أخذوا أحجام الإنسان القديم ومقاساته من هيكل كائن شبيه بالإنسان، وهو المعروف باسم (لوسى) والذى عثر عليه فى أثيوبيا، ويرجع إلى ثلاثة ملايين عام مضت، ثم استخدموا الكمبيوتر فى تطوير إنسان آلى صناعى (روبوت) لكى يكون نموذجا لكيفية تحرك (لوسى) وأوضح العلماء أن التجارب أثبتت أن (لوسى) ـ وهى أنثى ـ لم تكن لتتطور وتمشى منتصبة القامة بعد ذلك، وقال الدكتور روبن كرمبتون، أحد المشاركين فى البحث. أن ذلك يعنى أن النظريات العلمية التى تظهر الإنسان القديم يمشى فى وضع مُنْحَنٍ فى حاجة إلى إعادة كتابة، وأشار إلى أنه عندما بدأ الإنسان يقف على قدمين، فإنه كانت هناك ضغوط قوية لكى يسير ويقف منتصبا.

أجاب: ذلك قولٌ غير صحيح تدحضه الحفريات التى عثر عليها لأنواع الإنسان السابقة للإنسان الحالى فقد ثبت أنها لم تكن معتدلة القامة تماما وتدرجت فى تلك الصفة إلى أن ظهر إنسان النياندرتال وإنسان الكروماجنون.

إن القول بأن لوسى لم تكن لتتطور وتمشى منتصبة القامة بعد ذلك فهو قول غير صحيح إذ أن من سيمشى منتصب القامة تماما هم ذريات لوسى من أجيال متعاقبة استغرقت أكثر من مليون وربما بضعة ملايين من السنين بتغيير فى الجينات التى تتحكم فى تلك الصفة. إن القول بأن لوسى قد أسقطت نظرية داروين هو قولٌ متعسف بل يصح أن يوصف بأكثر من ذلك، لقد جمعت لوسى بين بعض صفات

القردة العليا وبعض صفات الإنسان، أى أنها تشبه الإنسان فى صفات معينة وتشبه القردة فى صفات أخرى.

أليس ذلك دليلا كافيا على أنها والقردة العليا قد نبتت من أصل واحد أى أنها والقردة العليا أبناء عمومة؟ ألا نتشابه نحن الأفراد من البشر مع أبناء عمومتنا أو عماتنا أو خئولتنا أو أبناء خالاتنا فى بعض الصفات وسبب ذلك هو أننا وجميع هؤلاء قد انحدرنا عن جد واحد.

إن نظرية داروين لم تقل بأن الإنسان أصله قرد، ولكنها تقول كما سبق أن ذكرنا وأكدنا أن الإنسان والقردة العليا لهم جد واحد أنبت فرعين انتهى أحدهما بالقردة العليا وسار الثانى طيلة مدة قدرت (بعشرة ملايين من السنين) أطوارا تلتها أطوار انتهت بالإنسان الحالى (شكل رقم١).

ـ ترجمة كتاب دارون .أصل الأنواع ـ إسماعيل مظهر)

إن التطور حقيقة وإن اختلف العلماء فى تفاصيلها أو فى تفسير أسبابها.

جاء فى كتاب علم الحيوان العام ـ فؤاد خليل ـ وآخرون:

تحت عنوان نشأة الإنسان وتطوره (صفحة ١١١٢)

هناك أدلة عديدة تجمع على أن الإنسان قد نشأ من أصل واحد مع بعض القردة العليا فمن الأدلة الفسيولوجية:

١ـ وظائف الجسم فى الإنسان تشبه وظائف جسم القردة.

٢ـ الإنسان والقرد معرضان لنفس الأمراض.

٣ـ الإنسان والقرد يؤديان نفس التعبيرات والحركات.

٤ـ يتشابه الإنسان والقرد فى اختبارات المناعة وفصائل الدم.

ومن الأدلة التشريحية التشابه الوثيق فى تركيب الأجهزة والأعضاء.... وكذلك يتفق التكوين الجنينى للإنسان فى أساسياته مع تكوين أجنة الحيوانات الثديية الأخرى.

هذا ماجاء بكتاب علم الحيوان العام ويمكننا أن نضيف إليه أن تشابه الإنسان فى بعض الأجهزة والأعضاء لايقتصر على تشابهه فيها مع القردة أو الثدييات فقط بل

يشترك فى بعضها مع كائنات أبعد فى الخلق من الثدييات بكثير مثل تشابهه فى الجهاز العضلى مع الضفدعة (شكل رقم ٢) . وكذلك تشابهه فى عظام الذراع مع الضفدعة والدجاجة والخفاش والحوت (شكل رقم٣) وكذلك تشابهه فى الهيكل العظمى مع القردة والقردة العليا (شكل رقم ٤) كما يتشابه جنين الإنسان فى مراحله الأولى مع أجنة الأسماك والطيور والثدييات الأخرى (شكل رقم ٥).

جاء فى كتاب خلق الإنسان بين العلم والقرآن للمؤلف عن مجلة نيوزويك الصادرة فى ٢٩/ مارس١٩٨٢

خرج عالمان أمريكيان (جود والبردج) برأى فى التطور يقولان فيه أنهما لاينكران التطور كحقيقة قائمة (مثلها كمثل سقوط التفاحة من على الشجرة) ولكنهما يعارضان تفسير داروين فى كيفية حدوث التطور.. وكما عارض العلماء نيوتن بنظرية النسبية فإن تلك المعارضة لم توقف التفاح عن السقوط من أعلى الشجرة. يقول العالمان أن التطور لايحدث بالتدريج البطيء المستمر وبالانتخاب الطبيعي، بل يحدث بقفزات مفاجئة هائلة سريعة نسبيا تبعد النوع الجديد عن النوع الأصلى بغير تدرج وأطلقا على تلك الظاهرة (التوازن الموقوت Punctuated Equilibrium)

ومن ذلك يرى العالمان أن التطور لايحدث بتدرج بطيء بالانتخاب الطبيعى فقط بل يحدث أيضاً بقفزات سريعة.

إن عثور أحد العلماء اليابانيين فى جنوب أثيوبيا على ضرس وعظام مختلفة إنسانية عمرها ٤ , ٤ مليون سنة سماها ذلك العالم راميدوس، لم يحطم النظرية الداروينية كما جاء فى كتاب أبى آدم بل يرجع تاريخ الجد الإنسانى الذى أمكن العثور عليه إلى ٤ , ٤ مليون من السنين بدلا من ٢ , ٣ مليون سنة، وما جاء عن هذا الكشف أثبتَ فيه صحة نظرية داروين.

قالت: ـ الآن قد ثبت أن العلماء يختلفون فيما بينهم وبذلك يحق ما يقوله علماء الدين بضرورة أن نبعد القرآن الكريم عن مجالات العلوم إلا إذا ثبتت حقيقة علمية.

أجاب: ـ معنى ذلك أن يكون الكتاب الكريم تابعا لا متبوعا، مسبوقا لا سابقا ويكون ذلك بأيدينا نحن المسلمين.

إنه بصرف النظر عما يقوله العلم والعلماء فى نظرية التطور أو فى غيرها من مجالات العلوم بكافة فروعها فإنه يتحتم علينا أن نبحث فى ذلك الكتاب المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عن كنوز من العلم يزخر بها بين دفتيه.

قالت: ـ وهل بكتاب الله الكريم ما يشير إلى أن الإنسان الحالى قد خلق متطورا عن أصل سابق؟

أجاب: ـ نعم. لقد جاء قوله عز من قائل: ـ

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين: ٤].

وقد جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية) أن كلمة تقويم تعنى تعديل وإزالة عوج، وجاء فى تفسير الجلالين «فى أحسن تقويم» تعديل لصورته، وجاء فى مصحف الشروق «أحسن تقويم» فى أعدل خلق وأحسن صورة، كما جاء فى الطبرى «أحسن تقويم» تعنى أحسن أحسن تعديل...

ومن تلك التفاسير نرى أن الإنسان لم يخلق خلقا مباشرا على صورته بل خُلق معدلا عن خلق يسبقه. وكما وجاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم أن التقويم يعنى إزالة العوج أى أن الإنسان كان معوجا فقومه، وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى أيضاً:

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار ٦،٧] جاء فى تفسير الجلالين (فعدلك) بالتخفيف والتشديد، وجاء فى مصحف الشروق (عدلك) جعلك معتدلاً معدل الخلق مقوما.

وجاء فى مختصر معانى مفردات القرآن الكريم (محمد سند الطوخى) (فعدلك) أى جعلك معتدل القامة. ويجب ألا نغفل أن المولى عز وجل قال﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ ولم يقل الذى خلقك وسواك وعدلك، وهذا دليل انقضاء زمن ما طال هذا الزمن أو قصر بين خلق الإنسان واعتدال قامته، كان الإنسان محنيا فعدله.

قالت: يستند عبدالصبور شاهين إلى القرآن الكريم ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ [النور:٤٥]

فيقول أن الله جل علاه قد خلق الكائنات مستقلة الأنواع استقلالا تاما فمنها الإنسان الذى يمشى على رجليه ومنها الدواب التى تمشى على أربع ومنها الزواحف التى تمشى على بطونها لكل نوع بدايته ونهايته فما كان الإنسان إلا بشرا منذ كان وما كان القرد إلا قردا وماكانت السمكة إلا سمكة فى عالمها المائي.

أجاب: هل يعنى بذلك عبد الصبور شاهين ومن يوافقون على رأيه وينحون نحوه أن السمكة والقرد والإنسان قد خلقوا فى وقت واحد مستقلين عن بعضهم البعض؟

إن المولى الخلاق الكريم لم يخلق نوعا واحدا من الأسماك بل خلق أنواعاً شتى منها ما يعيش فى الماء العذب ومنها ما يعيش فى الماء المالح، منها ما يعيش قريبا من السطح ومنها ما يعيش غائرا فى الأعماق، منها ما يعيش فى التيار الهاديء ومنها ما يقاوم أعتى الأعاصير والأمواج، منها الصغير الحجم ومنها هائل الضخامة، منها ما له عمود فقارى عظمى ومنها ما هو غضروفى، منها ماله خياشيم فقط ومنها ما له رئات (لوحة رقم ٦) وبالمثل لم يخلق الله فى الثدييات على سبيل المثال نوعا واحدا من القطط بل أنواعا متعددة (لوحة رقم٧) وكذلك الحال بالنسبة للقردة وللإنسان ، فهل يعنى ما يقوله المنادون بالخلق المستقل أن كل نوع من أنواع الأحياء التى لاحصر لها من الحيوان بكافة مجموعاته ومن النبات بمختلف أشكاله التى تعد بالملايين أنها قد خلقت مستقلة حتى عن أقرب أقربائها.

لمناقشة ذلك سنعتبر (متجاوزين) أن لفظ السمكة يشير إلى جميع أنواع السمك ولفظ القرد يشير إلى جميع أنواع القردة ولفظ الإنسان يشير إلى مختلف أنواعه التى خلقها العلى القدير. لقد أتم الله خلق البشر بعد أن أتم خلق الكون كله جماده وأحياءه. فالقرآن الكريم زاخر بالآيات التى تدل على ذلك من خلق السماوات والأرض وخلق النجوم والشموس والكواكب وخلق الرواسى والبحار وخلق الليل والنهار وخلق الرعد والبرق والرياح وخلق أنواع شتى من النبات وأخرى من الحيوان منها ما يعيش فى البحر ومنها ما يدُب على الأرض جميع تلك المخلوقات سخرت لخدمة الإنسان أى أنه خلق بعدها. سنبحث إذن موقع السمكة من الأحياء فلنتجه إلى آيات الكتاب الكريم يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ فالسمكة شأنها شأن القرد والإنسان قد خلقت جميعها من ماء علمنا أن الإنسان

قد تم خلقه بعد القرد وبعد السمكة فهل خلقت السمكة أولا أم القرد . يقول المولى عز من قائل: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ وسبق أن ذكرنا أن كلمة الخلق فى هذا القول الكريم لاتعنى المصدر بل تعنى الاسم، لاتعنى عملية الخلق بل تعنى المخلوقات.

لم يقل جل علاه كيف بدأتُ المخلوقات بل قال كيف بدأت الخلق أى أن الخلق جميعه نباته وحيوانه وإنسانه قد بدأ بداية واحدة، لم يحدثنا جل جلاله عن خلق السمكة ولاخلق القرد ولكن حدثنا عن خلق الإنسان إذ يقول ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ وبذلك يتضح أن الله قد بدأ خلق السمكة من طين كما بدأ خلق القرد من طين إذ أن الكائنات جميعها بدأت بداية واحدة فبداية خلق الإنسان هى نفسها بداية خلق السمكة وبداية خلق القرد، فمتى تم خلق السمكة سمكة وتم خلق القرد قردا؟

لقد تم خلق الإنسان آخر المخلوقات رغم أنه قد بدأ معها ببداية واحدة، وقد حدثنا سبحانه وتعالى عن خطوات خلق الإنسان ولم يحدثنا عن خلق غيره من المخلوقات لنسترشد إذن بخطوات خلق الإنسان لكى نعرف خطوات خلق السمكة وخطوات خلق القرد لأن الثلاثة قد ساروا فى طريق بدايته واحدة مع جميع الأحياء إلى أن تم خلق السمكة سمكة والقرد قردا واستمر الإنسان فى السير إلى أن تم خلقه إنسانا.

لقد ساروا جميعا فى طريق واحد إذ لو تخلف أى منهم أو غيره من المخلوقات عن الطريق وخُلق مستقلا عن شجرة الأحياء لكانت هناك بدايات متعددة وفى ذلك مخالفة لقوله الكريم: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ فماهو الطريق الذى سلكه الإنسان؟

لقد جاء خلق الإنسان من ماء ومن تراب ومن طين ومن طين لازب ومن صلصال من حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار ومن ماء مهين ومن نطفة ومن نطفة أمشاج ومن علقة ومن ماء دافق ومن مضغة مخلقة وغير مخلقة ومن سلالة من طين، وبذلك لابد للسمكة وللقرد أن يكونا قد سارا فى نفس الطريق بعضه أو قرب نهايته.

إن الماء والتراب والطين جميعاً مواد معدنية ولابد أن تنشأ الأحياء من مواد عضوية، وهذا ماحدث بقدرة الخالق الكريم إذ أحال الطين إلى طين لازب ثم خلق

من هذا الأخير وحدات حية، كل منها يتكون من حمأة واحدة أى خلية واحدة تلتها كائنات عديدة الخلايا وفى ذلك يقول المولى جل علاه:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر :٢٦].

﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن :١٤].

لقد بدأ خلق السمكة وخلق القرد بل جميع المخلوقات الحية كما بدأ خلق الإنسان بتحويل الطين اللازب إلى كائنات من خلية واحدة ثم إلى كائنات عديدة الخلايا وقد نشأت الثانية من الأولى كما يقول رجال العلم بانقسام كل خلية إلى اثنتين وتلكما إلى أربعة وهكذا.

نعود ثانيا إلى آيات خلق الإنسان لنتلمس عن طريق خلقه طريق خلق السمكة وخلق القرد، يقول عز من قائل فى سورة السجدة:

﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ [السجدة:٧].

لقد بدأ خلق الإنسان من كائن خُلق من طين هو كائن من خلية واحدة مثل الأميبا ثم جعل نسل هذا الكائن سلالة وراء سلالة تكاثرت بالماء المهين، ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ ـ تكاثرت تلك السلالات سلالة إثر أخرى بالماء المهين وهو الحامض النووى الـ دى إن إيه الذى تتكون منه عوامل الوراثة التى سماها العلماء الجينات، إذ أن ذلك ؛ الحامض هو الذى يجعل شجرة البرتقال برتقالا وشجرة القطن قطنا والبكتريا بكتريا والقط قطاً والسمكة سمكة والقرد قرداً والبشر بشراً.

غير أن القول الكريم فى الآيات السابقة لم يوضح متى بلغ خلقُ السمكة منتهاه ولا القرد منتهاه.

نلتمس الطريق فيما جاء عن خلق الإنسان فى سورة «المؤمنون» يقول سبحانه الخلاق العظيم :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون :١٢:١٦].

فى تلك الآيات الكريمة تفصيل لما جاء فى سورة السجدة عن السلالات التى خطاها الإنسان بعد أن بدأ خلقه كائنا من خلية واحدة إلى أن سواه ونفخ فيه من

روحه ، يقول جل علاه أنه خلق الإنسان من سلالة من ذلك الكائن الذى بدأ خلقه من طين.

كيف كانت تتكاثر تلك السلالة لم توضحه تلك الآية من القول الكريم ويقول رجال العلم أن المخلوقات الأولية كانت تتكاثر تكاثرا خضريا بغير ذكور أو إناث ومن أمثلتها بعض النباتات الأولية والحيوانات الأولية مثل الهيدرا والإسفنج، تلى ذلك مرحلة ثانية جاء فيها قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ تلك مرحلة يتم فيها التكاثر عن طريق نطفة من الذكور (الحيوان المنوى) ونطفة من الإناث (البويضة) كلتاهما فى قرار مكين الأولى فى خصية الذكر والثانية فى مبيض الأنثى، يشترك مع الإنسان فى تلك المرحلة الكائنات التى تتكاثر بالذكور والإناث وتضع بيضا وهنا بلغت السمكة منتهاها وتفرع منها جميع أنواع السمك ويستمر ركب المخلوقات الأخرى مع الإنسان فى قوله الكريم: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ خلق المولى جل علاه النطفة علقه بأن علقت النطفة بعد انقسامها إلى بضع خلايا فى جدار الرحم ويحدث ذلك فى جميع ما يسميه العلماء الحيوانات الثديية التى تلد صغارا وهنا بلغ خلق القرد منتهاه بأن تحولت العلقة فى داخل الرحم مضغة فعظاما فكسيت لحما وعندما يتم تكوين هذا الجنين تضعه الأم وليدا قردا أو قطا أو غزالا أو حماراً.

لم يبلغ الإنسان منتهاه إلا بعد أن أحاله الخالق الكريم بقوله :﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ وهنا يبلغ الإنسان منتهاه ـ كل أنواع الإنسان ماعدا البشر الذى يتم خلقه بعد خطوة أخرى أخيرة يقول فيها العزيز الكريم فى سورة السجدة ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾.

قالت: كيف عرفت السمكة بلوغ منتهاها فتكونت سمكة وكيف عرف القرد منتهاه فصار قردا؟

أجاب: نعود إلى قول الخالق الكريم فى خلق الإنسان ،يقول العلى القدير: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ لقد خلق الله السمكة من تراب ثم قال لها كونى فتكون، كما خلق القرد من تراب ثم قال له كن فيكون، كما خلق حواء من تراب ثم قال لها كونى فتكون.

قد يعترض بعض علماء الدين على هذا القول بأن نعمم ما قاله سبحانه وتعالى فى خلق عيسى وآدم.. عليهما السلام إلى خلق غيرهما من المخلوقات ونرد على ذلك بقول العزيز الحكيم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فسبحان من قال لذرة الأيدروجين كونى أيدروجينا وللسماء كونى سماءً وللقمر كن قمراً وللثعبان كن ثعبانا وللإنسان كن إنسانا.

يقول المولى لمخلوقاته كونى فتكون ولم يقل لآدم كن فكان بل قال: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ تلك كينونة مستمرة لكافة المخلوقات، كينونة لاتتوقف إلى يوم الدين ولذلك لم تتوقف السمكة بعد أن بلغت منتهاها بل استمرت فى تكوين أنواع كثيرة أخرى من الأسماك.

ولم يتوقف القرد عند بلوغه قرداً بل استمر فى طريقه لتكوين أنواع غيره من القرود. أما عن الإنسان فقد بلغ منتهاه عندما صار بشراً سوياً متطوراً عن أنواع سبقته من الإنسان ، فهل انتهى البشر عند هذا الحد. اللهُ أعلم بمقاصده ولكنه يقول جل علاه لنا نحن البشر: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ [النساء:١٣٣].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٣].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[إبراهيم:١٩، فاطر:١٦].

قالت:لم توضح متى ظهرت السمكة وما طول الفترة التى مضت بين ظهورها وظهور القرد؟

أجاب: يقدر العلماء عمر الأرض بأربعة آلاف وستمائة مليون من الأعوام، كانت كتلة ملتهبة أخذت تبرد مدة ألف مليون سنة بعدها بدأ تحويل الطين إلى طين لازب واستغرق ذلك خمسمائة مليون من الأعوام. وهنا بدأ المولى جل علاه خلق أول كائنات حية تتكوَّنُ أجسامها من خلية واحدة، من ذلك يتضح أن الحياة والأحياء بدأت على الأرض (فى البحار) منذ ثلاثة آلاف ومائة مليون سنةٍ، بدأت الأحياء بنباتات تتكون أجسامها من خلية واحدة هى الطحالب البكتيريا واستمرت تلك الأحياء أكبر فترة فى تاريخ الحياة على وجه الأرض إذ استمرت ما يقرب من ألفين وخمسمائة مليون سنة لكى تزود الأرض بالأكسجين الذى يلزم توافره لمعيشة

الحيوان، ظهرت فى أواخرها حيوانات بسيطة مثل الأسفنج والمرجان التى نشأت عن حيوانات تسبقها أجسامها من خلية واحدة، بعد ذلك ظهرت أنواع من الأسماك الغضروفية ومنها ظهرت الأسماك العظمية وبدأ ظهورها منذ ما يقرب من ٣٧٠ مليون سنة، ولعل فى ذلك إجابة على سؤالك متى ظهرت السمكة، تطورت الأسماك فظهرت منها الحيوانات البرمائية مثل الضفادع ومن البرمائيات ظهرت الزواحف مثل الديناصور والثعبان والسلحفاة ومن الزواحف ظهرت الطيور.

كما ظهرت الحيوانات الثديية منذ ٦٠ مليون سنة وعلى رأس الحيوانات الثديية ظهرت الرئيسيات التى تضم القردة وذلك منذ ٣٠ مليون سنة وأخيراً ظهر الأصل الذى نشأ من القردة العليا ونشأ منه الإنسان القرد (لوسى) الذى أنبت الأنواع المختلفة من الإنسان التى انتهت بظهورنا نحن البشر، ولعل فى ذلك إجابة على سؤالك عن الفترة التى مضت بين ظهور السمكة وظهور القرد، وقد يكون فى ذلك رد علَى ماجاء فى كتاب أبى آدم ، إذ يقول عبد الصبور شاهين عن خلق البشر الذى يعتبره سلفا للإنسان وعن المراحل التى لزمت لخلق كليهما.

«لقد كانت ملحمة هائلة تلك التى استغرقها خلق البشر وتسويته وتزويده بالملكات العليا التى أصبح بها (إنسانا) تتألق فيه كمالات النبوة، فاختاره الله واصطفاه كما قال ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾[آل عمران:٣٣]، فصار آدم نبياً، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[طه:١٢٢].

«ولقد استغرقت هذه الملحمة ملايين السنين، ولكنها مرت ظلاما فى ظلام، أو: غيبا فى غيب، حتى أذن الله للصبح أن ينبلج ـ فأشرق الإنسان من سلالة البشر، واكتمل المشروع، وجاء ، آدم وليس غريباً أن نتصور ـ بناء على هذا ـ أن آدم جاء مولودا لأبوين وأن حواء جاءت كذلك، على الرغم مما سوف يلقى هذا التصور من معارضة تلقائية، ورفض عنيف .. وبلا تفكير. أن هذا التصور لا يتصادم فى رأينا مع حقيقة خلق الإنسان من طين ، ذلك أن المشروع الذى بدأ منذ ملايين السنين بالجسد الطينى ـ كان هدفه النهائى والوحيد خلق (آدم) ، وكل ما مضى من أحداث بين التاريخين ـ إن كان ثمة تاريخ ـ إنما هو وقائع بناء جسد آدم، وعقله، وروحه، وملكاته، وخصائصه، وقد تم ذلك كله فى غيبوبة الزمان، حيث استوى الصفر والمليون ، فما هى إلا سِنَةٌ استمرت بضعة ملايين من السنين حتى استوى

الإنسان.. (آدم) الـذى نبت فى التراب ، وانـبثق من الأرض، لقد تـبددت الأحداث والوقائع، ولـم يـبق منها سوى الحقيقة الـترابية». ونلاحظ أن عبدالصـبور شاهين قد تحدث عن خلق آدم ولم يوضح كـيف خلقت حواء مكتفيا بقوله أنـها إنسان خلقت من أبوين فهل كان لها جدة من البشر؟ وهل خلقت هذه الجدة من أحد أضلاع جد آدم البشرى؟!

ولكى نلـقى الضوء على المـلحمة التى يـتحدث عنها عـبد الصبور شاهـين بأنها مرت ظلاما فى ظلام أقول:

لقد نبت آدم من تـراب الأرض بدءا كما ذكرنا بكائنات من خـلية واحدة طورها الخالق الكريـم عبر بضعة آلاف من ملايين السنين ظهر فى نهايتها الإنسان ثم الإنسان البشر وفى نـفس تلك الآلاف من ملايين السنـين ظهرت جميع الأحياء التـى خلقها المولى الكريـم جميعها على شجرة واحدة مـتطورة نوعاً عن نوع منها ما قد اندثر من ملايين السنين أو آلافها ومـنها ما لايزال يعيش حولنا على اختـلاف الأنواع وتباينها، إن مجرد قـول الخلاق العظيـم بأنه قد خلـق كل دابة من ماء لايـعنى كما ذكـرنا بأن الكائنات قد خلقت مستقلة.

يقول الخالق الكريم:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[الروم:٢٠]

كما يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات:١٣]

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٨]

لقد خلق الله البشر جميعهم من تراب، شعوبا وقبائل وأمما منهم الأبيض والأسود والأصفر، منهم أسود الشعر وأصفره، منهم طـوال القامة ومنهم قصارها، منهم من يحمل أنفا أفطس ومنهم من يحمل أنوفا مـستقيمة، منهم أزرق العينين ومنهم أسود العينين إلى غـير ذلك. لـم تخلق تلك الشـعوب والقبائل ـ رغم أنها خلـقت جميعا من تراب ـ مسـتقلة عن بعضهـا البعض بل خلقت مـن بعضها البعض، وبـالمثل فإن قوله جـل علاه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي

عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾[النور: ٤٥] لايعنى أن تلك الدواب قد خلقت خلقاً مستقلا عن بعضها البعض، لايعنى أن السمكة قد خلقت سمكة والقرد قردا والبشر بشرا.

قالت: أن الشعوب والقبائل جميعها نوع واحد أما انتقال الأسماك إلى برمائيات إلى غير ذلك فإنه انتقال من أنواع إلى أنواع أخرى؟

أجاب: إن اختلاف الأفراد فى داخل النوع الواحد منشؤه تغيير بسيط فى مادة الوراثة (الجينات) وكذلك انتقال الأحياء من نوع إلى نوع أساسه أيضاً تغيير أكبر فى الجينات. وذلك يفسر ما ذكرنا من قبل بأن الفأر يتشابه مع الإنسان فى ٧٠٪ من الجينات بينما يشترك الشمبانزى مع الإنسان فى ٩٨,٣٪ من الجينات، فالفأر يشبه الإنسان فى صفات معينة وبالتالى فى جينات معينة، فكلاهما يحمل عمودا فقاريا وكلاهما من الثدييات، تحمل الأنثى الأجنة وتَلِدُها صغارا بعد اكتمالها ثم ترضعها حتى تشب عن الطوق.

أما الشمبانزى فيكاد أن يشبه الإنسان ولايختلف إلا فى صفات قليلة، بل إن بعض الكائنات الأولية وحيدة الخلية تتشابه مع الإنسان فى بعض الجينات.

قالت: هل يمكننا حينئذ أن نقول إن حواء كانت كائنا من خلية واحدة الأميبا مثلا ثم تطورت إلى أخطبوط أو أسفنج ثم إلى سمكة غضروفية فعظمية ثم إلى ضفدعة ثم إلى حية أو حرباء ثم إلى كائن يجمع بين بعض صفات القردة وبعض صفات الإنسان (أطلق عليها اسم لوسى) ثم إلى إنسان سابق للبشر إلى أن تطورت بشرا؟

أجاب: بالتأكيد لا. إن ثمرة البرتقال لم تكن فى يوم من الأيام جزرا أو ساقا أو فرعا أو غصنا أو ورقة ولكنها بدأت ببذرة أنبتت شجرة من جذور وساق وأفرع وأوراق ، وعندما تهيأت الشجرة للاثمار أنبتت براعم زهرية تحولت إلى أزهار ثم إلى ثمار . والإنسان البشر هو ثمرة الأحياء جميعا خلقه المولى جل علاه إذ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾.

بدأ الحق تبارك وتعالى بخلق شجرة الأحياء كما ذكرنا بكائنات من خلية واحدة تطورت إلى كائنات عديدة الخلايا لايتميز بها ذكور من إناث ثم انتقلت إلى أحياء تتكاثر بالذكر والأنثى منها الأسماك ومن الأسماك ظهرت البرمائيات وكما ذكرنا

ظهرت منها الزواحف ثـم الثدييات وظهرت فى تلك الأخيرة ما أطلـق عليه العلماء اسم الرئيسيـات، ومن الرئيسيات نبتت لوسى الـتى تعتبر جدا بعيدا للـبشر وقد ثبت من الحفريات أن بعـض أنواع الإنسان السابقة للبـشر كانت تقتنص بعضـها البعض. ولعل ذلك هـو السبب فى قول المـلائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ورد المولى تبارك وتعالى : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. وهنا بلغت شجرة الأحياء مـنتهاها وأثمرت الإنسان البشر، الإنسان المكلف بعبادة الخالق العظيم.

حواء من عدم إلى بشر

قالت: أراك تفـسر قول العزيز الحـكيم: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْـخَـلْـقَ ﴾ بأن المخلـوقات هى الأحياء، أليـس عالم المادة من سـماء وأرض ونجوم وكواكـب وصخور ومعادن وماء وهواء هى الأخرى من المخلوقات؟

أجاب: حـقا ما تـقولين ، إن المخـلوقات تـشمل الأحـياء وغيـر الأحياء وتـطور الأحياء لايبدأ من الخلية الحية ولكنه يبدأ مـن عالـم الجماد وقد تنبه إلى ذلك كثيرٌ من فلاسفة العرب، يقول ابن خلدون:

إن عالـم الـتكوين ابـتداء من المعادن ثـم النبات ثـم الحيوان على هـيئة بديـعة من التدريج: آخر أفق المعادن يتصل بأول أفق الـنبات مثل الحشائش وما لابذور له، وآخر أفق النبات مثل الـنخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مـثل الحلزون والصدف ولم يوجد لها قـوة إلا اللمس فقط.. معنـى الاتصال فى هذه المكونات أن آخـر أفق منها مستعـد بالاستعداد الغـريزى لأن يصير أول الأفق الـذى بعده، واتسع عالـم الحيوان وتعددت أنواعـه وانتهى فى تدريـجه التكوينى إلـى الإنسان صاحب الفـكر والرؤية، ترتـفع إليـه من عالم الـقردة الذى اجـتمع فـيه الحس والإدراك ولـم تنته إلـيه الفـكر والرؤية بالعقل وكان ذلك أول أفق الإنسانُ من بعده وذلك غاية شهودنا.

وقد جاء فى كتاب المفكر الإسلامى م. م . شريـف ، ترجمة الدكتور أحمد شلبى ما يـلى:

يمكن القول فى إيجاز ويقين أن ابن مسكويه يقرر فى نظرية النشوء والارتقاء نفس النظرية التى قررها داروين بعده بتسعة قرون، ويوجز الشلبى فى كتابه «علم الكلام» تلك النظرية كما قال بها ابن مسكويه فيقول: إن امتزاج العناصر الكونية أنتج مملكة الجماد وهى أقدم مملكة وجدت فى تاريخ الكون وهى كذلك أحط الممالك. وخطا الكون خطوة إلى الأمام حيث ظهرت مملكة النبات مبتدئة بالحشائش ثم بالأعشاب فالأشجار وتستمر هذه المملكة قرونا وقرونا ثم بدت وهى فى طريقها إلى المرحلة التالية مرحلة الحيوان تقرب رويدا رويدا من المملكة الحيوانية فظهرت أشجار لها صفات قريبة الشبه بصفات الحيوان ثم جاءت فترة يبدو أنها طويلة بين مملكتى النبات والحيوان ليس من السهل أن تحسب من هذه أو تلك لأن بعض عناصرها كالمرجان له خصائص من المملكتين.

وبعد هذه الفترة تطل على الكون مملكة الحيوان وهى تبدأ بسيطة ساذجة حيث ظهر كائن ضئيل له قدرة على الحركة وبه شيء من الإحساس ذلك هو الديدان الصغيرة، وقد تطور هذا الكائن رويدا رويدا حتى ظهر الحيوان الذى لوحظ به جانب من الذكاء.. وقد مر الكون خلال ذلك بقرون وقرون. ويستعد الكون للوصول إلى أرقى مملكة عرفها وهى مملكة الإنسان فإن الحيوان يأخذ فى الرقى من ناحية شكله ومن ناحية فكره فيصل إلى القرد ثم تتطور أنواع القردة كذلك حتى يظهر الإنسان.

لقد خلق آدم عليه السلام من تراب إذ يقول المولى جل علاه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ ، بل إن الإنسان جميعه قد خلق من تراب بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ كما جاء فى الذكر الحكيم أن الإنسان قد خلق من ماء إذ يقول عز شأنه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ كما جاء أيضاً أن الإنسان قد بدأ الله خلقه من طين بقوله جل علاه: ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ من قوله الكريم فى الآيات السابقة، لابد قبل أن يخلق آدم أو حواء أو البشر جميعا أن يخلق المولى عز وعلا التراب والماء والطين. لقد جاء التراب من أديم الأرض ونزل الماء من السماء فكيف خلق الخلاق العليم الأرض وكيف خلق السماء. لقد تناولت ذلك فى كتاب سابق(خلق السماوات والأرض فى ستة أيام فى العلم والقرآن).

يقول عز من قائل: ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[السجدة:٤] كما يقول: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[فصلت:٩:١٢]

باختصار شديد ، قد خلقت الأرض فى يومين وأبسط مكونات الأرض هى الذرة وأبسط الذرات هى ذرة الأيدروجين. خلق الله سبحانه ذرات الأيدروجين فى الفضاء بأن أحال الطاقة(*) فى يومين أى على مرحلتين إلى ذرة أى إلى مادة، عندما تتحول الطاقة إلى مادة تتكون فى اليوم الأول جسيمات غير ثابتة تفقد فى الفضاء وتلك تتحول إلى جسيمات ثابتة هى مكونات الذرة الإليكترون والبروتون وذلك فى اليوم الثانى وذرة الأيدروجين تتكون من بروتون واحد وإليكترون واحد. تجمعت ذرات الأيدروجين فى المجرات ومن تلك تكونت النجوم بتحويل ذرات الأيدروجين إلى هليوم . ويقول علماء الفلك أن نجما كبير الحجم قد انفجر مكونا (الأرض والكواكب وعطارد والمريخ والزهرة..إلخ) التى تدور حول الشمس فى مجموعتنا الشمسية وقد تكونت فى الكواكب العناصر المختلفة من بعضها البعض تحت الحرارة والسرعة الفائقتين والضغط الهائل ابتداءً من عنصر الأيدروجين. إن ذرات العناصر هى أبسط مكونات عالم المادة من الناحية الكيميائية فإن أبسط المكونات من الناحية الطبيعية هى الجزيء. فجزيء كل من الأيدروجين والأكسجين يتكون من ذرتين وجزيء الماء يتكون من ذرتين من الأيدروجين وذرة واحدة من الأكسجين.

وهكذا باتحاد الذرات وتكوين الجزيئات ثم اتحاد الجزيئات تكون عالم المادة فى الطبيعة من معادن وصخور وجبال وأنهار ومحيطات كل ذلك فى المرحلة الثالثة أى فى اليوم الثالث وهو مرحلة الجزيء. فى اليوم الرابع تحولت المادة المعدنية إلى مادة عضوية أساسها ذرة الكربون وأطلق المولى جل علاه على تلك المادة اسم الطين اللازب. ومن الطين اللازب تكونت الخلية النباتية لتكون كافة النباتات ثم الخلية

(*) موجات تنبعث فى الفضاء تختلف باختلاف أطوالها من أمثلتها الضوء وأشعة جاما وأشعة إكس وأشعة الليزر.

الحيوانية لتكون كافة عالم الحيوان (وآخره الإنسان البشر) وكل ذلك فى اليومين الخامس والسادس أى فى المرحلتين الخامسة والسادسة.

مما سبق يتضح أن التطور لم يبدأ من الخلية الحية ولكنه بدأ من عالم المادة عندما خلق المولى عز شأنه ذرة الأيدروجين.

قالت: عندما سأل زكريا عليه السلام ربه سبحانه وتعالى أن يهبه غلاما أجابه جل جلاله: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[مريم:٧ ـ ٩]

أليس معنى ذلك أن زكريا وآدم عليهما السلام وحواء والبشر جميعا خلقهم الله تبارك اسمه، من قبل ولم يكونوا شيئاً،أى أنهم كانوا لا شىء فما تفسيرك لهذا القول؟

أجاب: جاء فى معجم الوسيط أن :

(الشىء) : الموجودُ. و ـ ما يتصوَّر/ ويخبر عنه.

* وجاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم: ـ

الشىء : مصدر شَاءَ، وهو ما يصح أن يُعْلَم ويُخْبَر عنه حيا كان أو معنويا.

من ذلك يمكننا أن نقول أن الشىء هو الموجود وأن قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ يعنى لم يكن لك وجود، أى كنت عدما. فهل خلق المولى الخلاق العظيم ذرة الأيدروجين ـ بداية عالم المادة ـ من عدم؟ نجيب على ذلك بأن تلك الذرة قد خلقت من الطاقة وقد ذكرنا أن من أمثلة الطاقة أشعة جاما وأشعة الليزر وأشعة إكس إلى غير ذلك.

ويمكننا أن نُعرف كل طاقة بقدرتها على إنجاز معين تلك القدرات نُجملُها فى قدرة الخلاق الكريم الذى أحسن كل شيء خلقه، خلقها جميعا بقدرته من عدم وهكذا خلق المولى سبحانه وتعالى الكون كله بما فيه آدم وحواء من عدم ، يقول جل علاه فى حديث قدسى «كنت كنزا مخفيا، فأردت أن أعرف فخلقت الخلق، فبى عرفونى».

سبحانه وتعالى أعلم عالم الغيب والشهادة.

إذ يقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

2

حواء إلى يوم البعث

دار الخيّـــال

«إنك لا تهدى من أحببت»

قالت له وهى تحاوره:

تريد لى الهداية، إذن فادع الله سبحانه وتـعالى فليس لى فى الأمر شىء. أليس الله القائل لرسوله الكريم:

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

بل إن الآيات التى تشير بأن الله سبحانـه وتعالى هوالهادى وهو المضل قد وردت فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة على سبيل المثال: ـ

﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٨٨].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام ٨٨].

﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف ١٧٨].

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد ٣٣].

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ [الإسراء:٩٧].

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر٣٦، ٣٧].

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢].

قال كأنما تريدين أن تقولى أن الإنسان ليس مسئولا عن الطريق الذى يسلكه ضلالة أو هدى قالت: نعم .. فالإنسان خاضع لإرادة المولى إن شاء أضله وإن شاء هداه، ألا تعنى الآيات التى ذكرتها، إن المشيئة مشيئة الله؟

يؤكد ذلك أيضا قوله سبحانه: ـ

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾[الإنسان: ٣٠، ٣١].

قال: لو صح ما تستنتجين ما كان الإنسان مسئولا عن أى عمل يقوم به أو أى ذنب يقترفه. فلم الحساب يوم القيامة ولم الجنة والنار، وكيف يجزى الله العاصين بعصيان لا يد لهم فيه فى حين أن المولى سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

لا يا سيدتى علينا أن نتفهم آيات القرآن الكريم بأن نبحث بعمق فى الآيات المختلفة التى تناولت هذا الموضع ـ «الضلالة والهدى»، علينا أن نتجول فى الآفاق وأن نغوص فى الأعماق، وقد قيل بحق إن القرآن يفسر بعضه بعضا.

كان آدم وحواء فى الجنة وعصيا أمر ربهما بأن أكلا من الشجرة التى نهاهما الله سبحانه وتعالى عنها فأمرهما المولى سبحانه بالهبوط ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه ١٢٣].

أى أن الحق سبحانه قد أرسل إلينا الهدى فى يوم أن هبط آدم وحواء من الجنة.

وقد ترك لنا حرية أن نتبع هداه أى أن نهتدى. كما حذرنا من عدم الهداية حيث يتابع سبحانه وتعالى القول (فى سورة طه) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[طه ١٢٤].

من ذلك نرى أن الإنسان هو نفسه الذى يختار أول طريق الهداية أو طريق الضلال دليل ذلك أيضا قوله سبحانه:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان٣].

وقد أرسل الله سبحانه الرسل والأنبياء ليبين للناس طريق الهداية فيقول:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد٢٦].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [إبراهيم٤].

ومن ذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى حين يقول يضل من يشاء ويهدى من يشاء فإنما يعنى يضل من يشاء وهم هؤلاء الذين آثروا السير فى طريق الضلال رغم ما بيّنه لهم الرسل الذين ينطقون بلسانهم، ويهدى من يشاء أى يهدى أولئك الذين آثروا السير فى طريق الهداية ودليل آخر قوله سبحانه وتعالى:

﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)﴾ [البقرة١ـ ٥].

من ذلك نرى أن اختيارنا طريق الهداية ثم السير فيه له خطوات تسبقه وتدل عليه وهى أن نكون من المتقين وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالغيب، أى يؤمنون بالله وبوحدانيته وقضائه وقدره ويقيمون الصلاة وينفقون أموالهم فى سبيل الله كما يؤمنون بالقرآن الكريم وبالكتب السماوية السابقة عليه ويؤمنون باليوم الآخر وبالحساب والعقاب.

فإذا ما خطا الإنسان فعلا فى هذا الطريق، طريق الهداية أخذ الله سبحانه وتعالى بيده وأتم هداه وفى ذلك يقول:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة ٢٥٧].

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة ١٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس ٩].

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم ٧٦].

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج ٥٤].

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت٦٩].

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى١٣].

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد١٧].

﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن ١١].

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل ٥ ـ٧].

من ذلك نرى أن الله يهدى من سار فعلا فى طريق الهدى أما من سار فى طريق الضلال فلن يهديه الله أبدا وفى ذلك يقول فى كتابه الكريم:

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة ٢٦].

﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة٢٥٨].

﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٢٦٤].

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء ١١٦].

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة ٨٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء ١٦٧].

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل٨ ـ ١٠].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء ١٦٨،١٦٩].

﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة١٢].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة ٤١،٤٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة ٥١].

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل ١٠٧].

﴿أَن اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة ٦٧].

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران ١٠١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل ١٠٤].

﴿أَن اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النمل ١٠٧].

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ [مريم٧٥].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج٣،٤].

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر ٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر ٢٨].

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر٣٤].

وإذا كان الإنسان قادرا على أن يخدع غيره من البشر فهو غير قادر على أن يخدع خالقه الكريم وفى ذلك يقول:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام ١١٧].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل ١٢٥].

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء٢٥].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [النجم ٣٠].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم٧].

من كل ما تقدم ألا ترين أن الإنسان بيده هونفسه ضلاله أوهداه ـ لقد أرسل المولى سبحانه وتعالى رسله ونزل كتبه ليوضح لنا الطريق لكن إبليس لايزال للإنسان بالمرصاد فمن تغلب على وسوسته وآثر طريق الهدى هداه الله ومن تغلب عليه الشيطان وقاده إلى الضلال أضله الله.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الزمر٤١].

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ ـ ٥٠].

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم:

﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ فقد أكمل بقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص٥٦].

هو أعلم بما فى نفوسنا وأعلم بأعمالنا هل نسير فى طريق الهدى فينير لنا الطريق ويتم هدانا أو نسيرفى طريق الضلالة والظلام فييسرنا للعسري

إن الله جل علاه ـ إنما يهدى العباد بأعمالهم، ونكرر قوله جل علا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس ٩].

مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق

قالت له: تريد أن نتحاور فى ذلك الموضوع الشائك إرادة المخلوق بجوار إرادة خالقه. إذن ادع الله معى أولا أن يغفرلنا هذا التطاول فمن نحن حتى نناقش إرادة رب العرش العظيم، رب العالمين، ولكن ربما يشفع لنا أن هذا الموضوع لاشك يراود الكثيرين منا فيحاول تجنبه أو يدور حوله أو يكتفى بالانطواء على نفسه وما يخالجه، فإذا كنا سنتحاور فى ذلك على صفحات كتاب ربما قرأه قليلون أو كثيرون فادع

معى ثانيا أن ينير الله تعالى بصيرتنا ويهدى طريقنا ويجنبنا الزلل أو زلة اللسان، فنحن راسخو العقيدة ثابتو الإيمان، لانشك فى قدرة الله الكريم وفى إرادته التى لاتحدها حدود ونتضرع إلى الله ألا نكون ممن يقول فيهم ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾[غافر:٣٥]

والآن نبدأ الحوار ..

تسألين: هل للإنسان مشيئة بجوار مشيئة الخالق؟

دعنى أسألكِ أولا هذا السؤال: هل يستطيع مخلوق أن يقول لخالقه «لا» لفظا أو معنى؟

أجابت : لا يمكن أن يقولها إذا هَمّ بقولها منعه الخالق أن يقولها قبل أن ينطق بها لعلمه مسبقاً أنه سيقولها إذ هو خالقه ويعلم ما بنفسه وإذا لم يمنعه الخالق من قولها فربما خسف به الكون بعد أن يقولها، أو عاقبه أو عذبه عذابا لم يعذبه أحد.

قال رغم ما تقولين فقد قالها ثلاثة دون أن يعذبهم خالقهم الكريم. أو يخسف بهم الوجود.

قالها إبليس عندما قال لخالقه الكريم لم أكن لأسجد لمن خلقت طينا فأنا خير منه، خلقتنى من نار وخلقته من صلصال كالفخار.

وقالها آدَم وحواء معنى عندما عصيا أمر ربهما فأكلا من الشجرة التى حرم عليهما الاقتراب منها، إذن فقد عصى الثلاثة أمر خالقهم ومولاهم. فماذا كانت النتيجة؟ كان الله رءوفاً عَفُواً رحيماً، قال له إبليس رب أنظرنى إلى يوم يبعثون، وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه هو وزوجته، من ذلك يمكننا أن نرى من البداية أن إبليس والإنسان ذكرا وأنثى كانت لهم إرادة عندما عصوا إرادة الله وإن كان ذلك بإرادته جل وعلا وإذا كنا نحن ذرية آدم وحواء رجالا ونساء نعصى مشيئة الله بمشيئتنا فإن ذلك أيضاً بمشيئة الله. لقد شاء الخالق الكريم بمشيئته أن يشاء الإنسان.

إذن فللإنسان مشيئة وللإنسان إرادة.

هل إرادة الإنسان مطلقة؟ قبل أن نجيب، علينا أن نوضح طبيعة الإنسان. هب أن إنسانا أراد أن يطير فى السماء كعصفور أوحدأة، هل يتمكن وينفذ تلك الإرادة؟... إذا أراد شخص أن يقفز إلى الأرض من طابق علوى كما يقفز قط، هل يمكنه ذلك

دون أن تتكسر ضلوعـه وتتهشم عظامه؟ إذا سبح إنسان فـى البحر أو ركب قاربا أو باخرة هل يمكنه أن يمـنع موج البحر أو يوقف ريحا عاتية أو عـاصفة هوجاء أو حتى نسيما عليلا؟ هل يتمكن الإنسان أن يمنع حركة الزلازل أو يوقف ثور ة بركان؟ لقد قالهـا الخليل إبـراهيم عليـه السلام، إن الله يأتـى بالشمس مـن المشرق فأت بـها من المغرب فـبهت الذى كفر. إن لـلإنسان حدودا لايمكن أن يـتعداها.وهناك إرادة عـليا فوق إرادته تنفذ ماتريد.

قالت : إن ما ذكرت هى ظواهر كونية لاقبل لـلإنسان بها أوخواص طبيعية خلق الإنسان عـليها، وكلاهمـا لا دخل ولا إرادة له فيهـا. أما باقى الظـواهر التى يقابـلها الإنسان فيمكنه أن يتحكم فيها. يمكنه أن يخضعها لإرادته ـ لاختياره.

أجاب : هل يختار الإنسان أبويه أو إخوته أو عائلته أخوالا أو جدود.

هل يخـتار يوم مولده ويـوم وفاته ، بل هل يـختار اسمه أو اعـترض عليه عـندما سماه أبواه جعلصـاً أوفلتساً أو عنزاً ـ هل اختار لونه أبـيض أو أصفر أو أحمر ، هل اختار قامـته طويلة أم قصيـرة وتقاطيع وجهـه خاصة إذا خصه الخالق الـكريم بوجه منفِّر دمـيم أو خلقة شوهاء. إذا كان قـد اختار زوجته ولم تكن مـن قضاء الله وقدره فهل يـختار أبناءه أو بـناته. لا ننكـر أن للإنسان إرادة ولـكن عند تحديـد تلك الإرادة يجب مناقشـتها فى ظل حقائق معيـنة هى فيما أرى إرادة الخالق جل شأنـه ومشيئته، ويدخل فى دائرتها قضاء الله وقدره ثم إرادة الشيطان الذى نصب نفسه من بدء خلق آدم عليه السلام عدوا له ولذريته.

فإذا بدأنا الحديث عن إرادة الله عزوجل نبدأ بالـسؤال ـ ماذا يريد منا الخالق ـ لقد أجاب الله تبارك اسمه:«﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات :٥٦].

ويلى ذلك لماذا نعبد الله؟

لكى نجيب علينا أولا أن ننظر إلى أنفسنا ثـم ننظر إلى ما حولنا، فعندما ننظر إلى أنفسـنا ندرك ماننتمـتع به من سمـع وبصر وعقل وقـلب وفؤاد، من جسد بـه أجهزة تعمل بدقة منقـطعة النظير لا يعرف قدرها إلا من قام بدراستـها وفى ذلك يقول ربنا الكريم﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات :٢١].

وإذا نظرنا حـولنا نجد كونا خَـلاَّبَاً يفوق كل تصـور فى سعته وتنـظيمه وتنسـيقه

وحركته لايقدرها إلا الراسخون فى العلم وفى ذلك يقول سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت:٥٤]

غير أن الإنسان العادى يشاهد ماحوله من الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض ببحارها، بجبالها ووديانها، بسهولها وصحاريها بحيواناتها من أسود وضباع وفيلة وظباء وطيور منها ما يغرد ومنها ما ينعق ونباتات تختلف أشكالها وألوانها ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾[إبراهيم:٣٤]

ولم يخلق الله الكون جميلا رائعا فقط بل هيأ للإنسان سبل العيش عيشة راضية، فجعل لنا الأرض ذلولاً وسخر لنا الشمس والقمر والنجوم وجعل لنا الليل سكنا ولباسا وجعل النهار معاشا. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ [القصص:٧١]

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص:٧٢]

وقد أنزل الخالق الكريم من السماء ماء طهورا لنسقي منه ونسقى أنعامنا ويحيي به الأرض. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان:٤٨،٤٩]

وهيأ لنا الله سبحانه وتعالى المأكل من نبات مختلف متعدد النكهة والمذاق، بعد أن دحا الله الأرض وأخرج منها الماء والمرعى وأنبت فيها من كل زوج بهيج.

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات:٣١]

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[الأنعام:١٤٠]

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [يس:٢٣]

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ﴾[المؤمنون:١٩،٢٠]

وكما سخر لنا الحق سبحانه وتعالى عالـم المادة وعالـم النبات سخر لنا أيضا عالـم الحيوان، وهيأ لنا منه المأكل والملبس ومنافع شتى.

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُون﴾[النحل: ٥]

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ [النحل:٨]

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾[النحل:٨٠]

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُون﴾[يس:٧١]

﴿وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُون﴾ [الزخرف:١٢]

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٦]

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ﴾ [الحج:٣٠]

﴿ اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُون﴾[غافر: ٧٩]

وفوق كل هذا خلق لنا الخالق جل شأنه من أنفسنا أزواجا نحن سكن لهن وهن سكنٌ وحَرْثٌ لنا ننجب منهن قرة أعين من بنين وبنات، ولاننسى أيضا ما خلقه الله من كنوز الأرض من ذهب وفضة وفحم وبترول وماس وغير ذلك من نفائس نمتلكها.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[آل عمران :١٤]

أَبَعْدَ كل ماهيأ لنا الخالق الكريم مما نصبو إليه لنحيا على هذه الأرض حياة طيبة بها كل ما تشتهى نبخل عليه سبحانه بالعبادة.

قال: وكيف نعبد الله؟

أجاب: ألا نشرك به، وأن ننفذ ماأمر به ونمتنع عما نهى عنه، أن نسلك طريق الخير ونبتعد عن طريق الشر.

قالت: ولماذا ينهى الله عن أشياء هو خالقها. وإذا كان سبحانه يريد للإنسان طريق الخير فلماذا خلق طريق الشر؟

أجاب: ما دام الخالق الكريم قد أعطى للإنسان إرادة إذن فمن العدل أن يتحمل مسئولية تلك الإرادة. أن السماوات والأرض والشجر وكل ما فى الوجود يأتمر بأمر الخالق الكريم، كل يسبح بحمده.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ﴾[الحج:١٨]

إذا كان الله خلق مـاينهانا عنـه كماخلق الخير والـشر. فقد أوضح لنـا ما يجب أن ننتهى عنه كما أوضح لنا طريق الخير. أوضح لنا ما أحل وماحرم .

قالت: كيف؟

أجاب: لـقد أرسل لـنا رب العزة الـرسل والأنبـياء كمـا أنزل الكتـب السمـاوية توضـح لنا الطـريق القـويم ـ ويجب ألا نغـفل أن كل مـا أمر به الله سـبحانه هـو فى صالح الإنسان وكل ما نهى عنه فى غيـر صالحه. لقد أمرنا ألا نشرك بالله وأن نتخذه ولياً ولانتخذ الشـياطين أولياء. أمرنا بالصلاة وهى كما أوضح رجـال الفقه صلة بين العبد وخالقـه فمن يتركها فكأنما يقطـع صلته بربه .أمرنا بالزكاة وهى حـق الغير قبَل من وسع الله عـليهم فـى الرزق وهى فى نـفس الوقت حـماية لمن يـؤديها من الحـقد والحسد.

أمرنا بـالبر بالوالديـن وإيتاء ذى القربى أى الـوفاء بما علينـا من دين لهما وبـالبر بأقـاربنا إذ الأقربـون أولى بالمعـروف. أمر بالعـدل والإحسان، ولاشك أنـنا جميـعا نطلب العـدل فلو ظَلَمْنَا الغيـر فمن يضمن ألا يظلـمنا الغير. وإذا أحسنـا إلى غيرنا أحسـن الغير إلـينا. أمـرنا ألا نقتـل أنفسـنا ولا أولادنا ولا الـنفس التـى حرم الله إلا بالحق(إذ النفس بالنـفس) وفى ذلك صيانة للمجتمع وأمرنا أن نـؤمن بالغيب ونؤمن باليوم الآخر، وفى ذلك إيمان بقضاء الله وقدره وإيمان بيوم نحاسب فيه على ما قدمنا. لقد أحل الله البيع وأمرنا أن نوفى الكـيل ونزن بالقسط.أمرنا أن نؤدى الأمانات وأن نعمل ونحسن ما نؤديه من عمل.

وينهانا الله عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعن الإثم والعدوان.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣]

لقد حرم الله الربا كما حرم أن نكتال على الناس وأن نبخسهم أشياءهـم وفى ذلك عدم استغلال حاجة الغير وضرورة إعطائهم مايستحقون.

لقد حرم الله زواج الأب بابنته والأم بولدها والأخـت بأخيها، كما حرم أن يتزوج

فرد بعمته أو خالته أو ابنة أخيه أو ابنة أخته، كما حرم أن تتزوج الأم بولدها فى الرضاعة أو الأخ بأخته فى الرضاعة . ولقد أوضح علم الوراثة الحديث المشاكل الناتجة عن زواج الأقارب. كما حرم الله الجمع بين أختين وأن يتزوج الرجل بامرأة أبيه أو ابنة زوجته أو امرأة بوالد زوجها أو ابن زوجها إذا كانوا قد دخلوا بهن أو كن دخلن بهم، كما حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله أي ما ذكر عليه اسم غير اسم الله.

ولا أقصد أن أذكر جميع ما حرم الله وما أحل ولكنها أمثلة.

قالت : ولماذا حرم الله سبحانه تلك الأشياء ولماذا حرم على آدم وحواء الشجرة التى عصيا ربهما بالأكل منها فى حين أن بعضهم قال أنها التينة أو الكرمة أوالسنبلة؟

أجاب : أحل الله الطيبات وحرم الخبائث، إذ يقول جل جلاله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٢،١٧٣]

كما يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[المائدة:٨٧]

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف:١٥٧]

لقد ذكر فى القرآن الكريم الكثير من النباتات التى أحلها الله لنا من القثاء والعدس والفول والبصل والأعناب والنخيل والتين والزيتون وغيرها.. إذن فالأرجح أن الشجرة التى حرم الله على آدم وحواء الأكل منها (بالتالى فهى محرمة على أبنائهما)، الأرجح أنها شجرة خبيثة.

قالت : ورغم ما قلت فإنك لم توضح جلياً، لماذا خلق الله ماحرم علينا ولماذا خلق طريق الشر؟

أجاب : ألم يكن المولى قادراً على أن يخلقنا كثَوْر أو بَقَرَة تأكل وترعى نهاراً وتنام ليلاً، ننفذ ما يطلب منا، أن نجر ساقية أو ننقل متاعا. لقدَّ خلق لنا الله عقلا

ومنحنا بكرمه إرادة كرمنا بها على سائر مخلوقاته لقد أراد الخالق الكريم لنا أن نكون أحرارا نريد لا عبيدا تُسام.

وما دام الله سبحانه شاء للإنسان إرادة، فلا بد من وجود بدائل يختار منها حسب مامنحه من إرادة وتصب تلك البدائل فى جميع الحالات في أحد الطريقين خيراً أو شراً ، لو كان هناك طريق واحد لانعدمت الإرادة أو المشيئة وأصبح شأننا شأن ماخلق الله سبحانه من الأنعام .إن حركة الحياة فى الإنسان فى الصراع بين الخير والشر.

قالت: أليس الله سبحانه وتعالى يقول:﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[البقرة:١١٧]

أليس ما يقضى الله به ويأمر به يقول له كن فيكون؟

أجاب: وهنا موضع تكريم للبشر. أن الله القوى القادر إذا قضى أمرا على جميع مخلوقاته يكون أمرا واجب التنفيذ، أما الإنسان فله شأن آخر أضرب لك الأمثلة.

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[فصلت:١٠-١٢]

لقد أمر الله السماء والأرض أن يأتيا فأتتا طائعتين، ولقد قضى على السماوات أن يكن سبع سماوات فكن سبع سماوات.

هذا بالنسبة للسماوات والأرض وبالنسبة لجميع المخلوقات. فماذا بالنسبة للإنسان - يقول الله الحليم الصبور:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الإسراء:٢٣]

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى﴾[النحل: ٩٠]

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾[آل عمران:٥١] [الزخرف:٦٤]

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]

لقد قضى الله أن نعبده ، ومع ذلك يوجد على الأرض الملايين ممن لايعبدوه

والذين يشركون به. وقضى بالوالدين إحسانا وألا نقول لهما أف ولا ننهرهما.ومع ذلك نرى ونقرأ عن عقوق الأبناء الذى يصل إلى حد الإهانة بل ربما القتل . ويأمر بالعدل والإحسان ونرى فى الدنيا المظالم التى تصل إلى حد التعذيب والمذابح. ويأمرنا أن نؤتى ذوى القربى وأن نؤدى الأمانات إلى أهلها وتمتلىء الدنيا بمن لايراعون أهلا ولا يؤتمنون أويؤدون أمانة وإذا كان الله سبحانه قد نهانا عن كثير مما سبق أن ذكرته ومما لم أذكره، فربما لو قمنا بإحصاء أو لجأنا إلى «كومبيوتر» لوجدنا أن من ينتهون شرذمة قليلة.

قالت: إذا كان الخالق جل شأنه يقضى بشيء فلا ينفذه الإنسان ويأمره بأمر فلا يمتثل، فهل معنى ذلك أن يترك يعربد كما يشاء ويفسد كما يريد؟

أجاب: كلا بغير شك فإن إرادة الله سبحانه وتعالى وقضاءه واجبا التنفيذ غير أن الله الكريم الحليم الصبور الغفور التواب قد ترك الباب مفتوحا للإنسان ـ باب التوبة ـ ترك له أن يخطيء على أن يصحح خطأه ، ترك له أن يعصى على أن يستغفر لذنبه ولايعود إلى المعصية ـ لقد طلب إبليس من المولى عز وجل أن ينظره إلى يوم الدين وقال الله عز من قائل: ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وإبليس عدو للإنسان يأتيه من كل جانب يوسوس له ويزين له طريق الشر، ويزين له المعصية ويدفعه ألا ينفذ ما أمر الله به . فمن تغلب من البشر على وساوس الشيطان فقد فاز، ومن اتخذ من الشيطان وليا فهؤلاء هم الخاسرون إلا من تاب توبة نصوحا.

وهناك نوع آخر من مشيئة الله عز وجل نتعرض لها كل وقت وحين نطلق عليها القضاء والقدر. وقد ضربت بعض الأمثلة لذلك. أضيف إليها أمثلة أخري: فالله يبسط الرزق لمن يشاء ويضيق الرزق على من يشاء ويهب لمن يشاء ذكورا ويهب لمن يشاء إناثا ويجعل من يشاء عقيما، يهب لمن يشاء صحة وعافية ويخلق غيره سقيما عليلا ومن أمثلة قضاء الله وقدره أيضاً مانتعرض له نتيجة أخطاء الآخرين، عيار طائش (ربما فى أحد الأفراح)، أو سيارة مستهترة أو حجر من (نبلة) فى يد طفل أو أنبوبة من (البوتاجاز) أو حريق فى منزل مجاور وغير ذلك كثير يصيبنا بفقد ذراع أو رجل أو فقد عين أو الاثنتين أو شظية فى المخ أو تهتك فى طحال أو موت مبكر لزوج ربما ترك أرملة فى مقتبل العمر ترعى قطيعا من الأطفال، وقضاء الله وقدره لحكمة يعلمها ، ربما كان ثوابا وربما كان عقابا .

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾[النساء:٩]

كما قد يكون قضاء الله وقدره ابتلاء، على سبيل المثال قد يبتلى العبد الذى أغدق الله عليه من سعته، كـيف ينفق ما رزقه الله وهل يشكر أم يكفر ومـا نحن بجاهلين ما عوقب به قـارون الذى ظن ما أوتيه عـن علم منه وليـس بفضل من الله ، فخـسف به وبأمواله وما يملكه. ولنا عبر أخر فى أيوب عليه السلام إذ ابتلاه ربه بما مسه من الضر فصبر صبرا يضرب به المثل، وكان صبره مفتاح الفرج.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾[الأنبياء :٨٣،٨٤]

ويوسف عليه السلام إذ ابتلى بطلعة شبهته بملك كريـم، فقطع النسوة أيديهن عند مشاهدته فاستعان بربه أن يصرف عنه كيدهن.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[يوسف:٣٣]

وفى قضاء الله وقدره يقول الخالق الكريم : ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ وكم من نـساء جميـلات كان حسنـهن وبالا عليهن، وكم من رجل دميم كانت دمامته سر نجاحه.

وقضاء الله وقدره ليس عـلى الأفراد فحسب بل على الشـعوب والأمم بل وعلى الخلق أجمعين.

من أمثلـة ذلك ثورة الطبيعة فـى رياح وأعاصير عاصفة وزلازل مـدمرة وبراكين تقذف حمـما تدفن مدنا بأسرهـا، وأمطار غزيرة يتبـعها أمواج كالجبال وميـاه تتدفق فتغرق الحرث والنسل.

وفـى القـرآن كيـف أهلـك القـوى القـهار قـوم نوح وعـاد وثمـود وقوم لـوط، وأصحاب الفيـل منهم من أهلك بالطوفـان ومنهم من أهلك بالصاعـقة ومن أهلك بـالصـيحـة : ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة:٥،٦]

أما فرعون وقومه فـقد سلط الله عليهم الجراد والقمل والـضفادع ، أن بعوضة أو

برغوثا أو ذبابة يمكنها أن تقضى على ملايين البشر، وفى التاريخ الحديث قد أهلك الطاعون والحمى الصفراء والملاريا والكوليرا الملايين ولاننسى الطغاة من البشر منهم من دعوا للحرب ومنهم من يبطشون بشعوبهم أو شعوب غيرهم بالألوف أو الملايين ، وفى الصومال والبوسنة والهرسك وأفغانستان أمثلة من التاريخ المعاصر، وما فعله هتلر أو ستالين ليس ببعيد وربما ما فعله كل منهما أو يفعله غيرهم قد جاء فى قول الحق سبحانه:

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء:١٦]

وكما أن الحروب بين البشر تحمل الخراب والدمار والقتل والتشريد فقد يريدها الله لصالح الناس كما يأمر بها فى سبيل الله وفى سبيل نصرة دينه ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة : ٢٥]

﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ﴾ [الحج:٤٠]

ولاننسى غزوات الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام أعقبها القضاء على الشرك وعبادة الأصنام ودخول الناس فى دين الله أفواجا واتساع رقعة الإسلام بين مشارق الأرض ومغاربها.

قالت: رغم ما ذكرت عن نعمة المال التى أصابت قارون يرى الكثير من الناس أن حرمانهم من المال أو الولد مجافاة لهم. ألا يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف٤٦]؟

أجاب: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

إذا كان الله حرم إنسانا من مال فقتر عليه فى الرزق أو حرم إنسانا من الولد فجعله أو زوجته عقيما، فثق أن العدل الكريم سبحانه، قد عوض كليهما بنعمة أخرى قد تكون وفرة الصحة أو رجاحة عقل أو سعة أفق أومهارة يد. المهم أن يبحث المرء عما وهبه الخالق من قدرات.

كما كان المال نقمة على قارون، كان ولد نوح عملا غير صالح، وكان الغلام الذى قتله صاحب موسى (الخضر) عملا فاسدا.

﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾[الكهف :٨٠]

قالت: يستنكف بعض الناس أن يكونوا عبيدا لله قائلين وهل يستفيد شيئا إن عبدناه أو يضره شيئاً إن عصيناه؟

أجاب: إن الله غنى عن العالمين يقول سبحانه ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾[الزمر:٧]

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٨]

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾[آل عمران:١٧٦]

إن الإنسان مهما عظم أو كبر هو فى حاجة دائمة إلى الخالق الكريم يستعين به فى السراء والضراء، يستعين به فى الأولى ليديم عليه ماهو فيه ويستعين به فى الثانية ليرفع عنه الضر. فى فاتحة الكتاب الكريم قرنت العبادة بالاستعانة برب العرش العظيم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . يحتاج الإنسان دائما إلى قوة يستند إليها وشعوره بوجود تلك القوة يكسبه السكينة والطمأنينة وفى ذلك يقول تبارك وتعالى:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨].

إن فى الإيمان بالله راحة نفسية قل أن نجدها بل تنعدم فى الشعوب التى لا تؤمن بوجود الإله ولذلك تكثر فيها حوادث الانتحار أو حالات الجنون ـ ومن كرم الله علينا أنه يطلب منا أن ندعوه فيستجيب.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

ولكى يستجيب الله لدعائنا يجب أن نؤمن به ولكى يكون إيماننا صحيحا يجب أن نقر بالعبودية له.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾[مريم:٩٣].

﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء:١٧٢].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١].

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[الجن:١٩].

إن فى إقرار الإنسان بعبوديته لله تذكرة دائمة له إن كان قويا فالله هو القوى المتين، وإن كان غنيا فالله هو الغنى الحميد، إن كان على علم فما أوتى منه إلا القليل، وإن كان ذا مقدرة فليتذكر قدرة الله عليه، وإن كان ذا سلطان فلله ملك السماوات والأرض، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

قالت: ومن أجل أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وأن مشيئته فوق كل مشيئة، يرتكب القليل أو الكثير من الناس المعاصي، لايؤدون الصلاة أو الزكاة، يفطرون فى رمضان، يرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن مُدَّعين بأن تلك مشيئة الله، وهو القادر على أن يبعدهم عن المعاصى قائلين : إنه قضاء الله وقدره ـ لقد قضى الله عليهم بذلك.

أجاب: ادعاء باطل ومغالطة منكرة ، فكيف يأمر الله بشيء ويقضى بعكسه وكيف ينهى عن شيء ويجيز إتيانه. أن من يدعون ذلك ينفذون مايأمرهم به شياطينهم وسيصلون سعيرا، هذا القول يقوله المتطرفون من المتصوفة، وقد أسموا أنفسهم «الجبرية» يقولون أن الإنسان ليس فاعلا لأفعاله ولكنه منفعل بها من قبل الخالق وهو الفاعل لأفعالهم.

ويقول عبدالكريم الخطيب (قضايا القرآن٢١) (مشيئة الله ومشيئة العباد) ص٦٠ تحت عنوان أباطيل المتصوفة (لبعض المتصوفة فلسفة مريضة، تذهب بهم هذا المذهب الأعوج الذى يقود إلى الضلال والهلاك إنهم ينسبون إلى الله كل شيء من طاعات وسخافات معا. إن كل ما يفعلونه حسن، لأنهم حسب تصورهم المخبول لايعملون شيئاً، وإنما ينفذون إرادة الله ومشيئته، فكل أعمالهم طاعات وكل سخافاتهم قربات، حتى ليقول قائلهم مخاطبا الله فى غير حياء.

أصبحت منفعلا بما تختاره　　　منى ففعلى كله قربات

فهذا الغبى الأحمق، هو منفعل كما يقول وليس فاعلا، وليته انفعل بالطاعات، وإنما منفعل بما يمليه عليه شيطانه الذى يوسوس له ، حين يفطر فى رمضان وهو منفعل بمشيئة الله، أو حين يترك الصلاة ، أوحين يشرب الخمر ويأتى كل فاحشة جهارا نهارا فى غير حياء. فهو فى تلك الأحوال ـ كما زين له شيطانه ـ قائم فى

محراب العبادة، لأنه ينفذ إرادة الله ويحقق مشيئته. والله سبحانه وتعالى يقول ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[يونس١٢].

وجاء فى نفس الكتاب (يقول ابن تيمية رضى الله عنه: ولا يحتج أحد بالقدر إلا إذا كان متبعاً لهواه بغير هدى الله ـ ومن يرى القدر حجة لأهل الذنوب، يرفع عنهم الذنب والعقاب، فعليه ألا يذم أحداً ولايعاقبه إذا اعتدى عليه ، بل يستوى عنده ما يوجب اللذة ومايوجب الألم ، فلا يفرق بين من يفعل معه خيرا ومن يفعل معه شرا وهذا ممتنع طبعا، وعقلا، وشرعا وقد قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[ص:٢٨].

لقد حاج المتصوفة أيضاً بقول الرسول الكريم لايدخل أحدكم الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته ويستنتجون من ذلك أن عمل الإنسان لا قيمة له لأنه يدخل الجنة برحمة من الله وليس بعمله ، وهو لاشك قول خاطىء فليس المقصود به أن يرتكب الإنسان من الذنوب كما يشاء له شيطانه ثم يدخل الجنة برحمة من الله الذى يقول:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[الزلزلة:٧ـ٨].

إن رحمة الله سبقت عدله ، فالعدل ميزان تتساوى كفتاه الحسنة والسيئة.

غير أن الله الرحيم بعباده يزن الحسنة بعشرة أمثالها ويزن السيئة بسيئة، علاوة على ذلك فإن الحسنات يذهبن السيئات، بل وأكثر من ذلك يقول الرحمن الرحيم:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾[البقرة:٢٦١].

وكما قلل المتصوفة من شأن مشيئة البشر وبالغ متطرفوهم فى ذلك بالغ متطرفو المعتزلة الذين أطلقوا على أنفسهم «القدرية»، فى قدرة الإنسان ومشيئته مقللين دور قضاء الله وقدره ـ لقد قاربوا أن يجعلوا من الإنسان إلها آخر بجوار الله ـ عز وجل ـ قائلين بأن الإنسان خالق لاعماله.

كان من أئمتهم أبو على الجبائى وكان من تلاميذه أبوالحسن الأشعرى.

يقول عبدالكريم الخطيب فى كتاب (مشيئة الله ومشيئة العباد) ص٣٧: لم يقل (أبوالحسن الأشعرى) قول المعتزلة فى إطلاق إرادة الإنسان واختياره على هذا الوجه

الذى قرره المعتزلة، فكان له رأيه الذى أصبح فيما بعد ـ الرأى الذى يقول به الجماعة (رأى أهل السنة)...

كانت رسالته أن يتوسط بين مختلف الآراء.. واستطاع الأشعرى أن يجعل لله ما يليق به، دون أن يتحيف حق الإنسان، فالإنسان عنده يمتاز بأنه يستطيع أن يضيف إلى نفسه ما يخلقه الله فيه من الأفعال وأن يعتبر ذلك من كسبه.

(ومن مناظرات الأشعرى لشيخه الجبائى ـ كما روى ذلك ابن خلكان ـ أن الأشعرى سأل أستاذه الجبائى، هذا السؤال: ثلاثة إخوة كان أحدهم مؤمنا تقيا، والثانى كان كافرا فاسقا شقيا، والثالث كان صغيرا فماتوا فكيف يكون حالهم؟

فأجاب الجبائى: أما المؤمن، ففى الدرجات (أى فى الجنة) وأما الكافر، ففى الدركات (أى فى النار)، وأما الصغير، فمن أهل السلامة..

فقال الأشعرى: إن كان الصغير يريد أن يذهب إلى درجات المؤمن. هل يؤذن له؟

فقال الجبائى: لا، لأنه يقال له: أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بطاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات.

فقال الأشعرى: فإن قال الصغير ذلك التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتنى، ولا أقدرتنى على الطاعة.

فقال الجبائي: يقول البارىء سبحانه : كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فرغبت مصلحتك..

قال الأشعرى: فلو قال الأخ الأكبر: يا إلَه العالمين، كما علمت حاله، فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دونى؟ فانقطع الجبائى ولم يدرما يقول!!)

قالت: بعيداً عن الفلسفة والمتفلسفين ـ يقول المولى عز وجل:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّه﴾ فما تفسير تلك الآية الكريمة، ألا تعنى أن ليس للإنسان مشيئة أو إرادة إلا إرادة الله؟

أجاب: لكى نصل إلى إجابة سليمة نتساءل ـ أولا ـ ماهى إرادة الله؟؟

إن إرادة الله هى الوجوب، وكل ما فى الوجود.

وما هى إرادة الإنسان؟

إرادة الإنسان أن يحيا حياة طيبة يحصل فيها على متطلبات الحياة من مأكل

وملبس ومسكن وغير ذلك وأن يرتفع بمستواه العقلى والعقائدى والفكرى والمادى وأن يكون مرتاح النفس، لايعتدى على حريته ولا على حقوقه أحد وأن يكوّن أسرة إن شاء من زوجة يرتاح إليها وينجب منها ذكورا وإناثا وأن يعيش هو وأسرته فى مجتمع يحترمهم ويحفظ حقوقهم.

لقد وفر الخالق الكريم للإنسان فى الأرض كل مايبغي، ولكى لايصارع بعضه بعضا فى الوصول إلى تلك المتطلبات شرع له الشرائع التى تنظم حياة الفرد بالنسبة لنفسه وبالنسبة إلى غيره فيعيشون جميعاً فى مجتمع تتوفر به متطلبات كل فرد.

من هنا كانت أحكام الدين من أوامر ونواه تشمل واجب الإنسان نحو نفسه ونحو غيره ونحو خالقه وقد ترك الله لكل فرد مشيئته أن ينفذ أوامره ونواهيه أو أن يعصاها ـ غير أنه ولصالح الإنسان نفسه قد أوضح له بما لا يدع مجالا للشك أنه سبحانه هو القوى القادر وهو الرقيب الحسيب وهو المانح والمانع وهو فضلاً عن ذلك تواب غفور.

طلب الله سبحانه من البشر أن يتذكروا دائما قدرته وقوته وحسابه فيخشوه، وغفرانه فيتوبوا إليه ويستغفروه وذكر الله يكون بالتقرب إليه وزيادة الصلة به. وتلك هى الصلاة وذكر الله يعنى أيضاً تنفيذ ما يطلب منا ـ ولا يطلب منا سوى العبادة وعبادته تعنى أيضاً الاعتراف بوحدانيته وعدم الشرك به، ذلك هو ما ترك لنا الخالق الكريم مجال الخيار فيه أن نؤمن أو نكفر فإذا آمنا أطعنا وإذا لم نطع كفرنا.

قالت: وهل يشاء الله أن نتفرغ للعبادة وألا نقوم بعمل خلاف ذلك؟

أجاب: بل ذكرت أن نتبع ما أمر الله، وقد أمرنا الله بالسعى للرزق فقال ﴿فامشوا فى مناكبها﴾ وأمرنا بالعمل ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ كما يحب إذا عمل أحدنا عملا أن يتقنه وأمرنا الله بتحصيل العلم وفى ذلك آيات كثيرة ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾.

إن أوامر الله كما شملت حق الإنسان قبل الغير شملت واجبه نحو الغير وكما شملت حق الإنسان على نفسه شملت واجبه نحو نفسه، فإذا كان من حقه أن يعيش فمن واجبه أن يسعى، بذلك يتسابق المتسابقون، لايتصارعون.

وقد شاء الله أن يخفى عنا بعض مشيئته . أن يخفى عنا قضاءه وقدره، فإذا حل بنا

ما نحب شكرنا وإذا حل بنا ما نكره صبرنا،كماندعو الله أن يجلب علينا الخير وأن يبعد عنا الشر ـ إذ يطلب منا الحق سبحانه أن ندعوه فيستجيب.

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠].

لقد دعا إبراهيم ربه: ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[البقرة:١٢٦].

ودعا نوح ربه:﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح:٢٦].

ودعت امرأة فرعون: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾[التحريم:١٠].

ودعا زكريا ربه فاستجاب له:﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[مريم:٧].

إن مشيئة الله غير محدودة ـ غيرأن مشيئته سبحانه ـتعالى بالنسبة للعباد يمكن تلخيصها فى أمرين، مشيئة معروفة لنا هى ماجاء على لسان رسله وأنبيائه من أوامر ونواه ومشيئة أخفاها عنا هى قضاؤه وقدره. أما مشيئتنا نحن البشر فتقع فيما شاء الله أن تكون لنا فيه مشيئة وكلها تقع فى أوامره ونواهيه، إن أمرنا واضح وضوح النهار ـ ولاينبغى أن نختلط بين مشيئتنا عندما نخالف ما أمر الله وبين قضاء الله وقدره بل ينبغى أن نستعين بما نعلم ليقينا شر ما لا نعلم، علينا أن نخضع مشيئتنا لمشيئة من خلقنا ونضرب لذلك أمثلة:

زوج وزوجة أرادا أن ينجبا ولدا أو بنتا أو اختلفا، ليس لهما فى الأمر شيء إلا الدعاء كل بما يريد، من حقق الله مشيئته شكر ومن لم يحققها له صبر وليس لأى أن يعترض على مشيئة الله.

رجل ذو ثروة، من رأيه أن يرث البنات مثل نصيب الذكور، نقول له إن مشيئة الله تحرم ذلك إذ يقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾

طالب وظيفة استعد للمقابلة Interview استعدادا تاما وفى الميعاد المحدد لم يتمكن من الذهاب لحادث ليس بإرادته ، نقول له نفس القول الكريم ونضيف ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾.

رجل أعمال ذو ثروة طائلة، يجد أن زكاة ماله مبلغ ضخم، يسأل عن جواز تخفيضه فنجيب: ليس فى ذلك مرضاة لله إذ يقول : ﴿وَمَا تَشَاءُون إلاَّ أن يشاء اللَّه﴾.

أما أن يدعى طالب علم مهمل أنه فشل فى الامتحان بقضاء الله وقدره أو يقول موظف فصل من وظيفته لرشوة حصل عليها أو اختلاس قام به أن ما حدث كان بمشيئة الخالق، أو يحتسى رجل الخمر ويلعب الميسر تاركا وراءه زوجة وأطفالا يتضورون جوعا متشدقاً بأن تلك إرادة الله، أوتخون امرأة زوجها فتنسب إليه أبناء ليسوا له فيقنعها شيطانها أنه لو لم يشأ الله ماحدث، فإن هؤلاء وأمثالهم ممن يرتكبون كل معصية ويأتون بكل فاحشة متخذين من الشيطان وليا من دون الله هم الكاذبون الضالون الكافرون.

﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُون عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾[النساء:٥٠].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾[النساء:٥٢].

﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ [النساء:١١٩،١٢٠].

على الإنسان أن يطيع ما أمر به الله ورسوله، ولايطيع وسوسة الشيطان ويترك أمره لمشيئة الله فمشيئته هى العليا ، له الأمر من قبل ومن بعد.

قالت: وإذا أطاع الإنسان أمر الله ورسوله وكانت مشيئة الله على غير ما يشاء؟

أجاب: عندئذ يقول مشيئة الله لحكمة يعلمها ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهوخيرلكم﴾ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ و﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾.

قالت: وكيف يعيش الإنسان مشيئته فى ظل مشيئة الله؟

أجاب:أن يعتبر أن أمره بيد خالقه فيخشي، وأنه بيده فيسعي، بيد خالقه فيتوكل وبيده فيعمل، بيد خالقه فيستغفر ويتوب ويدعو، وبيده فيجد ويجتهد ويعلو.

قالت: وهل بالقرآن الكريم ما يشير إلى قدر مشيئة البشر؟

أجاب: يقول رب العرش العظيم:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا ﴾[الأنعام:١٤٨].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ﴾[يس:٤٧].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

قالت: وما المحصلة ـ هل الإنسان مخير أم مسير؟

أجاب: مخير فيما شاء الله له فيه أن يختار،مسير فيما لايشاء الله له فيه أن يختار، مخير فى العمل، مسير فى النتيجة، مخير فى أن يعمل، مسير فى أن يكون.

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ صدق أصدق القائلين.

كلهم مسلمون

قالت له وهى تحاوره : نعلم جميعا أن ابراهيم ـ عليه السلام ـ هو الملقب بأبى الأنبياء وأنه كان مسلما حنيفا. إذ يحدثنا المولى جل وعلا فى كتابه المجيد.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران:٦٧].

كما نعلم أن محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هو خاتم الأنبياء نزل برسالة الإسلام وقد سماه الله سبحانه وتعالى أول المسلمين إذ يقول سبحانه لرسوله الكريم:

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾[الأنعام:١٤].

كما يقول: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٣].

ولاشك أن الحقبة طويلة بين إبراهيم عليه السلام ومحمد صلوات الله عليه، بل تخلل هذه الحقبة نزول أديان سماوية أهمها اليهودية والمسيحية ومن ذلك نرى أن محمد (صلوات الله عليه) قد لقب بأول المسلمين رغم أن إبراهيم عليه السلام قد سبقه فى الإسلام بسنين طويلة يشكل هذا اختلافا فى حين أن الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً﴾ [النساء:٨٢].

أجاب: علينا إذاً أن نتدبر القرآن إذ ربما كان مانظنه اختلافا يكون فى حقيقته

اتفاقـا، علينا أولا أن نبـحـث معنى كلمـة اسلم ومشتقاتها مســلما وإسـلامـا وغير ذلك.

جاء فى معجـم ألفاظ القرآن الكريـم مجمـع اللغة العربية:أسلـم اسلاما= انقاد ـ أخلـص ـ دخل فـى الإسلام، الإسلام = الانـقيـاد ظاهرا وبـاطنـا وقد يكـون معـنى الانقياد الظاهرى.

إن الدين عندالله الإسلام = الانقياد لله ولما جاء بـه من شرائع وأحكام له أسلَمْ من فى السماوات والأرض = انقاد واذعن.

وأمرت أن أسلم لرب العالمين = اخلص

وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين = المنقادين لله

حنيفا = مائلا عن الشر والضلال إلى الخير والحق

ومن ذلك نرى أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما، أى كان مائلا عن الشر والضلال متجهاً إلـى الخير والحق، منقاداً إلى خالقه الكـريـم. ولما كان معنى الإسلام هو الانقياد لله فلاشك أن جميع الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله إلى البشر جميعهم مسـلمون من وقـت آدم عليه الـسلام، إذ كانوا كـلـهم بـلاريب منقـادين مخلـصين للواحد الأحد وأن ما نزلوا به جميعـا هو الإسلام ـ الإسلام لله سبحانه خالق الكون والأزل ولكى نؤكد هذا الاستنتاج علينا أن نـتلمس ماجاء فى الكتاب الكريـم خاصا برسله، وأنبيائه فى هذا المجال ـ يقول سبحانه:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[البقرة:١٢٧،١٢٨].

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٠،١٣٣].

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٥، ١٣٦].

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[ال عمران:٨٤].

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[المائدة:١١١].

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[الحج:٧٨].

قالت: إذا كان الدين كله واحدا وهو الإسلام وإن إبراهيم عليه السلام هو أبو المسلمين فما الفرق إذن بين اليهودية والنصرانية والإسلام، وبعبارة أخرى ما الفرق بين إسلام إبراهيم وإسلام موسى وإسلام عيسى عليهم جميعاً السلام وبين إسلام محمد ﷺ ولماذا إذاً يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ أليس فى ذلك دلالة على الخلاف بين اليهودية والنصرانية والإسلام؟!

قال: يجب إذن أن ننظر إلى الأمر بعمق يعود بنا إلى الماضى السحيق ماضى الإنسانية بدءا من آدم عليه السلام . هل مدارك الإنسان ومعرفته وثقافته وبيئته التى كان يعيشها والتى يعيشها الآن هى نفسها لم تتغير عما كان عليه الإنسان وقت سيدنا إبراهيم ، الإجابة: طبعاً لا فمدارك البشر أيام إبراهيم ليست هى أيام موسى وتلك تختلف عن وقت عيسى وهذه تختلف عن وقت خاتم الرسل والأنبياء.

لاشك أن البشر وثقافاتهم كانت فى تقدم مستمر ومن المنطقى أن الله سبحانه وتعالى يخاطب الناس على قدر عقولهم فمنهج الإسلام ومناسكه وشرائعه فى وقت إبراهيم لا بد أن يكون جميعها أبسط منها فى وقت موسى وتلك أبسط من وقت عيسى. لقد أرسل الله سبحانه تعاليمه إلى البشر ليعلمهم واجباتهم نحو خالقهم ونحو زملائهم الذين يعيشون معهم بل ونحو العالم الذى يعيشون فيه. إن مثل ذلك مثل نظام التعليم فى أى بقعة من بقاع الأرض إذ لابد أن يتمشى مع مدارك الفرد، فالطفل الصغير يبدأ بمعلومات أولية فى دور الحضانة ثم يتدرج فى

العلـم الذى يعطـى له فى مرحـلته الابتدائـية ثم الإعداديـة ثم الثانـوية ثم إلى نـهاية المطاف. ويـجب أن نؤكد بأن كل مـرحلة لا تناقض الـتى قبلهـا ولكن ـ تزيد علـيها وكذلك الأديان والكتب السماوية لا تناقض بعضها بعضاً بل تزيد عليها وتكملها.

أرى أن إسلام إبراهيم علـيه السلام كان إسلاما فطريا. إسلام مـن يبحث عن ربه القمر أم الشمس فـلما أفلا قال إنى لا أحب الآفلين وقال له ربه أسـلم قال أسلمت لرب العالمين. أما إسلام موسى فكان إسلام معـجزات مادية تراها وتلمسها إذ قال له ربه ألق عصاك ، فإذا هى ثعبان مبين وقال له اضمم يدك إلى جناحك فإذا هى تخرج بيضـاء من غير سـوء. وقد رأى فرعون وقـومه تلك المـعجزات ولما لـم يسلمـوا لله أرسل عليهـم القمل والجراد والضفادع والطـوفان. ولما استمروا فى عنادهـم وتتبعوا موسى وقومه شق موسى البحر بعصاه وقد أنزل الله على موسى التوراة لا شك أنها كانت تتواءم مع المستوى الفكرى لما وصل إليه البشر.

كذلك كان إسلام عيسى اسلام معجزات مـادية فى ولادته من عذراء لم يمسسها بشر ولـم تك بغيا ثم يتكلم فى المهد صبيا ويبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى.

أما إسلام مـحمد خاتم المرسلـين فإعجازه إعجاز عـقل وفكر، إعجاز كـتاب لو اجتمعت الإنس والجن عـلى أن يأتوا بسورة من مثله ما فعلوا، إعـجاز يطلب الخالق الكريم من الإنسان أن يبحث عن آيات مولاه فى الآفاق وفى أنفسهم، أن ينظر كيف خلق مـن تراب ومن طين ومن طـين لازب ومن صلصال كـالفخار أو صلـصال من حمأ مسنون ومن نطفة ومن نطفة أمشاج ومن عـلقة ومن مضغة مخلقة وغير مخلقة ومن ماء مهين ومن ماء دافق، يطلب الخالق الـكريم أن نسير فى الأرض لننظر كيف بدأ الخلـق. أن ننظر إلـى السماء كـيف خلق الـسماء بغـير عمد وكـيف خلق سـبع سماوات طـباقا ومن الأرض مثـلهن، أن ننظر كـيف خلق الســماوات والأرض وما بينـهما فى ستـة أيام وكيف يُنْـقِص الأرض من أطرافهـا وكيف خلق الإبـل ونصب الجبال وسطح الأرض.

لا عجب فمحمد صلوات الله عليه هـو خاتم الأنبياء وكتابه هو آخر الكتب جاء مصدقا لما قبله ومهيمنا عليها. جاء القرآن الكريم مكملا لدين الله لا مناقضا لأى مما سبقه حـيث يقول الحق تبارك وتـعالى على لسـان نبيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

إن الكتب السماوية الثلاثة، القرآن، التوراة، الإنجيل لايمكن أن يعارض بعضها بعضاً، وإذا كان القرآن قد جاء به تصحيح لأخطاء وردت بالتوراة والإنجيل فإن ذلك ليس تصحيحاً لخطأ من الإله عز وجل فهو منزه عن الخطأ بل لأخطاء البشر .خطأ قد ارتكب إما عن إصرار وعمد أو وقع عن سوء فهم وغير قصد. فيقول اليهود عزير ابن الله ويقول النصارى المسيح ابن الله، ويقول الله الخالق الكريم:

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم:٣٥].

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة:١١٦].

كما جاء ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦: ١١٧].

كما جاء ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٢،٧٣].

أما المسألة الثانية فهى ادعاء أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى وفى ذلك نقول أن محمدا صلوات الله وسلامة عليه من ذرية إسماعيل بن إبراهيم وموسى وعيسى عليهما السلام من ذرية اسحاق ابن إبراهيم ويحدثنا المولى عز شانه أن إبراهيم وإسماعيل قد دعوا الله أن يجعل من ذريتهم أمة مسلمة لرب العالمين كما دعوا الله أن يبعث فى تلك الذرية رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة وقد استجاب الله لدعواتهما فأرسل فى ذريتهما رسله الثلاثة على

ملة إبراهيم حنيفا ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة:١٢٧:١٢٨].

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:١٢٩:١٣٠].

من ذلك نرى أن الرسل الثلاثة رسل اليهود والنصرانية والإسلام جميعهم على ملة إبراهيم حنيفا مسلماً. لقد احتفظ محمد عليه الصلاة والسلام لنفسه ولأمته باسم دين آبائه، الإسلام. أما أتباع موسى فقد تسموا باليهود. وأما من اتبع عيسى فقد تسموا بالنصارى، ولنا إذاً أن نتساءل هل يتسمى الآباء بأبنائهم أم يتسمى الأبناء بآبائهم؟ لا شك أن الإجابة هى أن يتسمى الأبناء بآبائهم وليس العكس. لقد اتبع رسولنا رسول الإسلام ومن تبعه المنطق الصحيح وتسموا بالمسلمين، بذلك يتضح لنا أن الادعاء بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى ادعاء غير سليم، إضافة إلى ذلك أن هؤلاء لم يؤتوا علم الغيب حتى يتسموا بأسماء أبنائهم بعد قرون من الزمان عندما أوتى موسي رسالة ربه وبعده عيسى عليهما السلام. وفى ذلك يقول الحق سبحانه:

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وبذلك يتأكد لنا أن اليهود مسلمون. وأن النصارى مسلمون فهم من سلالة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وقد سمى إبراهيم ذريته بالمسلمين. هذا ويطلب منا الحق تبارك وتعالى ألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ويأمرنا الله عز وجل أن نعترف بجميع رسله وكتبه.

﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ [آل عمران: ٨٤].

غير أن الرسل والأنبياء ليسوا على مرتبة واحدة إذ يقول تبارك اسمه.

﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ولاشك أن رسولنا الكريم هو أعلاهم درجة فهم جميعهم مسلمون وهو أول المسلمين.

قالت: إذا كان إبراهيم عليه السلام الملقب بأبى الأنبياء قد سمى ذريته من الرسل ومن اتبعوهم (من اليهود والنصارى والمسلمين) بالمسلمين فما هى ديانة من سبقوا إبراهيم أو من لم يكونوا من قومه أو من ذريته؟

أجاب: ـ إن الاسلام هو الانقياد لله ويستلزم ذلك الاعتراف بوحدانيته وألا نعبد سواه. وقد اوحى الله سبحانه إلى الرسل والأنبياء أن ربكم واحد فاعبدوه.

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقد بلغ الرسل الآخرون الذين ليسوا من ذرية إبراهيم رسالة ربهم إلى قومهم وقد جاء فى الكتاب المجيد ﴿ولقد أرسلنا نوحًا إلىٰ قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

﴿ولقد أرسلنا نوحًا إلىٰ قومه إني لكم نذير مبين (٢٥) أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ [هود: ٢٥،٢٦].

﴿وإلىٰ عاد أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون﴾ [هود: ٥٠].

﴿وإلىٰ عاد أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٨٥] [هود: ٨٤].

من ذلك نرى أن نوحا ، هودا، صالحا، شعيبا قد أبلغوا أقوامهم بأن يعبدوا الله الواحد الأحد وتعنى عبادته الانقياد له عز شأنه ولما كان الانقياد هو الإسلام فإن جميع هؤلاء الرسل والأنبياء كانوا مسلمين. كما أبلغ رسل آخرون رسالة الإسلام إلى أقوام غير قومهم. فقد كتب سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ وجاء على لسانها فى القرآن المجيد.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩:٣١].

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

كما أبلغ موسى وهارون عليهما السلام رسالة ربهما إلى فرعون وقومه وقد أسلم سحرة فرعون بعد أن آمنوا بموسى وما جاء به فقالوا:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

أما فرعون فقد طارد موسى ومن معه من بنى إسرائيل فلما ﴿أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

وقد نادى يوسف عليه السلام ربه قائلاً: - ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف :١٠١].

نخلص من هذا أن الدين الذى أنزله الله سبحانه للبشر أجمعين دين واحد هو الإسلام ولا غرو فإن الله واحد فلابد أن يكون الدين واحداً وفى ذلك يقول رب المرسلين جميعا ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقد أرسل كل رسول إلى قومه أما محمد عليه الصلاة والسلام فقد أرسل للناس كافة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سبأ: ٢٨].

ولقد بلغت الرسالة ليس فقط إلى الإنس بل أيضا إلى الجن، فقد جاء القول الكريم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١:٢] .

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: ١٣:١٤] .

بل إن دين الله الإسلام. لا يقتصر على الإنس والجن بل يمتد ليشمل العالمين ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] .

ويقول الحق سبحانه وتعالى لرسوله الكريم محمد بن عبدالله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

كما يقول سبحانه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران ١٩] .

قالت: ـ ولكنك لم تجب بماذا نفسر أن محمدا ﷺ قد أمر بأن يكون أول المسلمين رغم أن من سبقه من الرسل والأنبياء جميعهم كانوا مسلمين.

أجاب: ـ لقد علمنا أن الإسلام هو الانقياد لله الواحد الأحد وبذلك نرى أن الإسلام قد بدأ ليس فقط ببداية خلق البشر بل ببداية خلق الكون وبدء الخلق، إذ يقول عز من قائل:

﴿سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥] .

كما يقول: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] .

كما يقول: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران ٨٣] .

وقد اتخذ إبراهيم الخليل عليه السلام من الإسلام مسمّى فتسمى هو وذريته وأتباعه بالمسلمين أما سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فهو خاتم المرسلين اكتملت برسالته تعاليم الإسلام ومناسكه إذ يقول الخالق الكريم بلسان أشرف المرسلين.

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

وبذلك يتضح لنا أن الرسول الكريم هو أعلم خلق الله أجمعين بمنهج وتعاليم ورسالة الإسلام ولذلك قد سماه المولى عز شأنه أول المسلمين فهو أولهم معرفة وانقيادا ومنزلة عند الخالق الكريم. عليك أفضل الصلاة وأزكى السلام يا رسول العالمين.

زوجية بالزواج وزوجية بالازدواج

قالت الزوجة: يقول الخالق الكريم في كتابه المجيد: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف ٦٩ ـ ٧٠].

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: ٥٥ ـ ٥٦].

فهل معنى ذلك أن كل زوج إذا ثقل ميزانه في حساب الآخرة وكان من نصيبه الجنة أن تدخل زوجته معه «بالتبعية» مهما اقترفت من آثام ومهما نكدت عليه عيشته؟

أجاب: لو صح ذلك لاختلت الموازين، ولتمردت نساء العالمين على بعولتهن ولعلّمن أزواجهن الأدب ولدفعنهم إلى حسن الخلق وخشية الخالق بصرف النظر عما يسلكن اعتمادا على أنهن كما امتطين أزواجهن في الدنيا فسيمتطينهم في الآخرة في حين أن الله سبحانه يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦، ٧].

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران ١٠٦].

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ﴾ [النور ٢٤].

﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

قالت ـ لو رجعنا إلى ما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية) نجد أن أزواجكم تعنى زوجاتكم بما فى ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ فى سورة الزخرف وأن كلمة أزواجهم تعنى زوجاتهم بما فى ذلك قوله تعالى ﴿هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك﴾ فى سورة يس وبذلك نرى أن الزوجات سيتبعن أزواجهن إلى الجنة (إذا قدر لهم دخولها)؟

أجاب: حسب ما وضح فى قول الخالق الكريم فى الآيات السابقة فى سور (المدثر) و(فاطر) و(الحاقة) و(الزلزلة) و(النحل) و(آل عمران) و(النور) و(الانفطار)، و(الإسراء). كل زوج مسئول عن عمله وكل زوجة مسئولة عن نفسها. فى رأيى أنه لابد أن نفرق بين الزوجية بالزواج وبين الزوجية بالازدواج.

إن الزوجية الزواج: لا تحدث إلا فى أبناء آدم من البشر بأن يتزوج رجل معين بأمرأة معينة يكون هو زوجا لها وتكون هى زوجا (زوجة) له.

وقد يتزوج رجله ما أكثر من زوجة فيكون هو زوجا لهن وتكون كل واحدة منهن زوجا له والعكس صحيحاً(*).

أما الزوجية بالازدواج: فهى زوجية بالتقابل. إنها الناموس الذى خلق على أساسه الكون بأسره. إنه يشمل عالم المادة كما يشمل عالم الأحياء ففى عالم المادة

(*) بأن تتزوج امرأة أكثر من زوج بالطلاق أو بموت زوج أو أكثر.

خلق المولى جل علاه السماء والأرض، الليل والنهار، الشمس والقمر، النور والظلمة الأبيض والأسود، الماء والنار، المشرق والمغرب، والإلكترون والبروتون وفى عالم الأحياء، حيوان ونبات وغير ذلك، خلق الذكر والأنثى. إن الكون بأسره يعتمد على تلك الزوجية فيتناوب الليل والنهار وتدور الأرض من مغرب إلى مشرق وتدور الكواكب والنجوم من فلك أيمن إلى فلك أيسر ويعيش فى الأرض أزواج شتي من النبات والحيوان والإنسان، بل يقول العلماء أخيرا جدا وبعد أن كشف العالم أينشتين عن نظريته فى النسبية وبعد أن تمكن العلماء من تقسيم الذرة أن الكون بأسره له كون مضاد، كون غير مرئى إذ يقولون أن الإلكترون له الكترون مضاد والبروتون له بروتون مضاد، وبالتالى فإن الذرة لها ذرة مضادة وعلى ذلك يكون للجزىء جزئ مضاد ويستطردون بأن كل شىء له مضاد فأنا وأنت والبقرة والأرض لكل منا مضاد، وفى ذلك يقول المولى سبحانه وتعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات ٤٧ : ٤٩].

ولا يفوتنا أن نذكر أن زوجية بالازدواج لا تشمل عالم المادة والأحياء فحسب بل تشمل أيضا الصفات المعنوية ومن أمثلتها الكفر والإيمان ـ والضلالة والهدى ـ الصدق والكذب ـ العدل والظلم ـ الشجاعة والجبن... إلى غير ذلك.

هذا ولا يفوتنا أن ننوه إلى ما قاله فضيلة الأستاذ سيد قطب (فى ظلال القرآن) فى تفسير قوله تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ إذ يقول وهذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق فى هذه الأرض، وربما فى هذا الكون إذ أن التعبير لا يخصص بالأرض ـ قاعدة الزوجية فى الخلق ـ وهى ظاهرة فى الأحياء. ولكن كلمة شىء تشمل غير الأحياء أيضا والتعبير يقرر أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية.

وحين نعرف أن هذا النص عرفه البشر منذ أربعة عشر قرنا. وأن فكرة عموم الزوجية ـ حتى فى الأحياء لم تكن معروفة حينذاك، فضلا عن عموم الزوجية فى كل شىء، حين نتذكر هذا نجدنا أمام أمر عجيب عظيم... وهو تطلعنا على الحقائق الكونية فى هذه الصورة العجيبة المكبرة كل التكبير.

كما أن هذا النص يجعلنا نرجح أن البحوث العلمية الحديثة سائرة في طريق الوصول إلى الحقيقة. وهي تكاد تقرر أن بقاء الكون كله يرجع إلى الذرة، وأن الذرة مؤلفة من زوج من الكهرباء، موجب وسالب، فقد تكون تلك البحوث إذن على طريق الحقيقة في ضوء هذا النص العجيب.

أما تفسير فضيلته لقوله سبحانه وتعالى ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون﴾ فيقول: على الأرائك متكئين في راحة ونعيم هم وأزواجهم لهم فيها فاكهة ولهم ما يشاءون.

كما جاء تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ ما يلي: ـ أي تسرون سرورا يشيع في أعطافكم وقسماتكم فيبدو عليكم الحبور. ومن ذلك نرى أنه لم يتعرض لتفسير معنى «أزواجكم» «وأزواجهم» فهل يعني ذلك أنه يعتبرهما زوجاتكم وزوجاتهم؟

وبالمثل جاء في تفسير الجلالين عن قوله الكريم «أنتم وأزواجكم تحبرون» أنتم وزوجاتكم تسرون وتكرمون.

قالت: ـ ألا يؤيد ذلك القول لفظا أزواجكم في سورة «الزخرف» وأزواجهم في سورة «يس» تعني الزوجات كما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم.

أجاب: بل يوضح القرآن الكريم أن هذا التفسير غير صحيح على علاته إذ لا يمكن أن تتبع كل زوجة زوجها ولا كل زوج زوجته في حساب الآخرة. لو أخذنا بذلك لوقعنا في حيرة شديدة، لقد أباح المولى من الزوجات (بصرف النظر عن عدم إمكانية العدالة بينهن) مثنى وثلاث ورباع، فهل سيتبعن جميعهن أزواجهن رغم التباين في سلوكهن بل ربما عوقب هؤلاء الأزواج على عدم العدالة بينهن، يظلمون البعض وينعمون على البعض فهل ستعاقب المظلومات بعقاب من ظلموهن.

نتساءل أيضا ما حكم الزوجات اللاتي تزوجن أكثر من زوج ـ إما بالطلاق أو بموت أزواج ـ سابقين فأي الأزواج يتبعن. إن كل إنسان مسئول عن نفسه، كل إنسان طائره في عنقه. يوضح ذلك قوله سبحانه وتعالى علاوة على ما سبق ذكره من آيات في سور مختلفة): ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس ٣٤ ـ ٣٧].

ونعلم جيدا أن صاحبته تعنى زوجته، كما نعلم جيدا وكما أخبرنا المولى سبحانه وتعالى فى كتابه المجيد أن كلا من امرأة نوح وامرأة لوط (على النبيين السلام) سوف لا تتبعان زوجيهما فقد كانتا من الغابرين ، كما أن زوجة فرعون سوف لا تتبع زوجها التى دعت الخالق الكريم أن يبنى لها بيتا فى الجنة.

قالت: ـ هل تعنى أن نفسر لفظى أزواجكم وأزواجهم بأنها الزوج الآخر المقابل لكل منا الذين لا نراهم ولا يعلم العلم أين هم. إذ من الطبيعى أن كلا الزوجين يسلك سلوكا واحدا.

أجاب: ـ هذا احتمال جائز. ومن جهة أخرى يرى بعض المفسرين أنهن لسن كل الزوجات بل إنهن المؤمنات فقط ـ اللاتى يماثلن أزواجهن فى التقوى والإيمان والطاعة والسجود للخالق الكريم إذ جاء فى تفسير الطبرسى:

إن «أنتم وأزواجكم» تعنى زوجاتكم اللاتى كنا مؤمنات مثلكم.

وقد جاء فى تفسير الآلوسى: «أنتم وأزواجكم» أى نساؤكم المؤمنات فالإضافة للاختصاص التام فيخرج من لم يؤمن منهن.

وفى تفسير عبدالجليل عيسى وأبو السعود: «أنتم وزوجاتكم اللاتى آمن مثلكم. قالت: لو أخذنا بهذا الرأى الأخير بأن الزوجات المؤمنات هن اللاتى يتبعن أزواجهن (إذا قدر أن يدخلوا الجنة) فما حكم النسوة اللاتى فاتهن قطار الزواج ولم يكّن زوجات فى يوم من الأيام.

أجاب: إن الزوجية المشار إليها فى سورتى الزخرف ويس ليست زوجية زواج ولكن زوجية ازدواج أى زوجية الذكور والإناث كما سبق ـ الرجال والنساء كما جاء فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [٦ ـ ٨ النبأ].

إضافة إلى ذلك فإن المولى عز وجل عندما يخاطبنا بصيغة المذكر لا يعنى مخاطبة الرجال فقط(*) بل مخاطبة الرجال والنساء معا كما فى قوله: ـ

﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

(*) إلا فى حالات معينة عندما يخاطب الذكور دون الإناث.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وبالمثل عندما يخاطبنا المولى بقوله: ـ

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف:١٠٧].

فإن هذا القول الكريم يضم بين طياته أن اللائى آمن وعملن الصالحات كانت لهن جنات الفردوس نزلا. نعود الأن إلى قول العزيز الحكيم.

﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين. ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾

فإن ذلك يعنى الذين آمنوا بآياتنا رجالا ونساء وكانوا مسلمين ومسلمات ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم نساء ورجالا تحبرون ويستوى فى ذلك الذين تزوجوا من الرجال والنساء والذين لم يتزوجوا.

وبالمثل فى قوله سبحانه: ـ

﴿إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون. هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون﴾

فإن ذلك يعنى أن أصحاب الجنة رجالا ونساء اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم نساء ورجالا على الأرائك متكئون أى أن الزوجية فى تلك الحالات إنما هى زوجية بالازدواج لا بالزواج.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥].

قالت: هناك رأى آخر جاء فى تفسير الطبرسى إذ يقول: ـ إن أزواجكم تعنى زوجاتكم من الحور العين حين يقول الخالق عز وعلا: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤].

أجاب: ـ إن هذا التفسير فى رأيى غير صحيح لأن المولى سبحانه وتعالى يحدثنا فى سورتى الزخرف ويس فى الآيات السابقة عن أزواجنا فى الدنيا وليس فى الآخرة.

* وسواء أكنا أزواجا بالزواج ـ كما فى قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ [النساء: ١٢].

* أو كنا أزواجا بالأزدواج ـ كما جاء فى قوله جل علاه: ـ

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبأ: ٦: ٨].

* أو بالازدواج الذى يقول فيه الحق تبارك اسمه: ـ

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات ٤٧: ٤٩].

* ونخلص من هذا بأن الزوجية فى قوله تبارك وتعالى: ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ وفى قوله: ﴿هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون﴾ ليست زوجية زواج ولكنها زوجية ازدواج.

ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٢٢]. ولما كان الذين ظلموا سيحشرون إلى النار فمن غير المعقول أن تحشر زوجاتهم أيضا إلى النار. إن تلك الزوجية هى أيضا زوجية بالازدواج وليست بالزواج.

إن الله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد ليس له صاحبة ولا ولد.

صدق الله العظيم

...«حور عين.... نساء ورجال»...

قالت: هناك خاطر يجول بأذهان جميع النساء، لا يفصحن عنه حياء، ولكننى أرى أنه لا حياء فى العلم ولا حياء فى الدين. لقد ميز الله سبحانه وتعالى الرجال على النساء أيضا فى الدار الآخرة إذ قد أنعم عليهم بزوجات مطهرات يقول جل علاه: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥].

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً﴾ [النساء: ٥٧].

ويجمع المفسرون على أن الأزواج المطهرة تعنى زوجات مطهرات.

أجاب: إن تلك الآيات الكريمة لا تعنى أن ينعم المؤمنون فقط فى الآخرة بزوجات مطهرات بل تشمل أيضا أن ينعم المؤمنات بأزواج مطهرين.

قالت: جاء فى تفسير الجلالين عن الآيات الثلاث بالسور الثلاث المذكورة أن أزواجا مطهرة تعنى زوجات خاليات مطهرات من الحيض وغيره مما يستقذر. وجاء فى تفسير أبى السعود ﴿لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]. أى مما فى نساء الدنيا من الأحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهر يستعمل فى الأجسام والأخلاق والأفعال. وجاء فى تفسير القرطبى ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾ أزواج جمع زوج، والمرأة: زوج الرجل، والرجل زوج المرأة «مطهرة» نعت للأزواج، ومطهرة فى اللغة: أجمع من طاهرة وأبلغ، ومعنى هذه الطهارة من الحيض والبصاق وسائر أقذار الآدميات.

كما جاء به أيضا: أنه عن مجاهد: مطهرة، لا يبُلن ولا يتغوطن ولا يلدن ولايحضن ولا يمنين ولا يبصقن. وقد جاء أيضا فى (المنتخب) فى تفسير القرآن الكريم عن الأزواج المطهرة فى الآيات الثلاث السابقة: ـ لهم فيها أيضا زوجات كاملات الطهارة ليس فيهن ما يعاب [البقرة: ٢٥].

* أزواج طاهرة نقية من كل ما يشين نساء الدنيا. [آل عمران: ١٥].

* لهم فيها أزواج مطهرة من العيوب والأدناس. [النساء: ٥٧].

علاوة على ذلك فقد جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية) أن لفظ أزواج فى الآيات المذكورة جمع زوج بمعنى زوجة. ويتضح مما تقدم أن المفسرين المذكورين يجمعون على أن أزواجا مطهرة إنما يعنى زوجات مطهرات.

أجاب: إن كلمة أزواج لا تعنى زوجات فقط بل تعنى أزواجا أيضا (*) إذ أن الرجال أزواج للنساء كما أن النساء أزواج للرجال، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة ٧: ١١].

إن الأزواج الثلاثة فى القول المذكور لا تعنى الرجال فقط أو النساء فقط بل تعنى الأزواج رجالا ونساء وبمعنى آخر تعنى أصحاب الميمنة وصاحبات الميمنة ـ أصحاب المشأمة وصاحبات المشأمة السابقون والسابقات.

قالت: يقول المفسرون أن الأزواج المطهرة ـ مطهرة من الحيض وهى صفة من صفات النساء.

أجاب: إن ما جاء فى تفسير الجلالين وأبى السعود والقرطبى لا يقصر الطهارة من الحيض فقط بل يتعداها إلى الطهارة من صفات أخرى يتصف بها النساء والرجال معا إذ يقول أبو السعود التطهر من الأجسام والأخلاق والأفعال كما يقول القرطبى التطهر من البول والتبرز والإمناء والبصاق. كما جاء بمعجم ألفاظ القرآن الكريم: ـ

بأن لفظ مطهرة يعنى: ـ منزهة من درن الدنيا وأنجاسها. أى أن الأزواج المطهرة هم أزواج مطهرون من صفات متعددة وزوجات مطهرات من تلك الصفات ويضاف إليها التطهر من الحيض.

قالت: لقد أنعم الخالق الكريم جل علاه على الرجال أيضاً بحور عين إذ يقول ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٠: ٢٣].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان ٥١: ٥٤]. ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠].

وفى الآيات السابقة يرى المفسرون أن الحور العين هن نساء عيونهن شديدة

(*) وقد وضح ذلك تفصيلا عند الكلام عن «زوجية بالزواج وزوجية بالازدواج».

السواد. ناصعة البياض - فى روعة واتساع. ومن أمثلة ذلك ما جاء فى المنتخب فى تفسير القرآن الكريم: -

﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠]. وزوجناهم بنساء بيض واسعات العيون حسانها.

﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤]. زوجناهم فى الجنة بحور عين. يحار فيهن الطرف لفرط حسنهن وجمالهن وسعة عيونهن. ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الواقعة: ٢٢] نساء ذوات عيون واسعة.

أجاب: - من الخطأ الشائع أن نعتبر أن كلمة حور هى جمع لكلمة حورية وأن حور العين هن نساء فقط. جاء بالمعجم الوسيط أن لفظ حور هو جمع كلمة حوراء كما هو جمع لكلمة أحور أى أن الحور تشمل النساء والرجال ذوى العيون شديدة السواد ناصعة البياض. كما جاء بالمعجم الوسيط أن لفظ عين هو جمع لكلمتى عيناء وأعْيَن على وزن عور، عوراء، أعور.

من ذلك يتضح أن الحور العين هم ذوو العيون الواسعة من النساء والرجال، ونخلص مما تقدم أن قوله الكريم فى سورة الدخان ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ إلى قوله ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ وقوله جل شأنه فى سورة الطور ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ إلى قوله ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ وقوله جل شأنه فى سورة الواقعة ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ إنما يعنى أن المتقين رجالا ونساء يزوجهم الله بحور عين من النساء والرجال:

قالت: يقول جل علاه ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن ٥٢: ٥٦].

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن ٧٠: ٧٤].

ولا شك أن الحور المقصورات فى الخيام والقاصرات الطرف اللائى لم يطمثهن إنس ولا جان هن من النساء، أى أن الحور العين هن من النساء فقط وليس كما تدعى من النساء والرجال.

أجاب: ـ أوافقك على أن الحور التى ورد ذكرها فى سورة الرحمن هن من النساء فقط وذلك لا ينفى أن ما جاء عن الحور العين فى سور الطور والدخان والواقعة هم من النساء والرجال.

قالت: ـ يقول الحق تبارك أسمه: ـ

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ ٣١: ٣٤]. كما يقول ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة ٢٧: ٣٧]. ونعلم جميعا أن الكواعب الأتراب العرب الأبكار هن جميعا فتيات بارزات النهود ذوات عمر واحد كما أنهن أبكار أى أن هؤلاء هن من نصيب الرجال.

أجاب: ـ إذا كان المولى جل علاه قد خص الرجال بالكواعب الأتراب اللائى ورد ذكرهن فى سورتى النبأ والواقعة. إليك ما جاء فى سور الواقعة والطور والإنسان:

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة ١٧: ١٩].

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور ٢٢: ٢٤].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

وفى رأيى أن هؤلاء الغلمان الذين هم كاللؤلؤ المكنون والولدان الذين هم كاللؤلؤ المنثور من نصيب النساء.

قالت: ـ من المعروف أن الولدان والغلمان هم من الخدم الذين لم يصلوا إلى مرحلة الرجولة بعد.

أجاب: ـ قد جاء فى معجم الوسيط: الغلام: الصبى فى حين يولد إلى أن يشب ويطلق على الرجل مجازا. كما جاء فى معجم الفاظ القرآن الكريم ـ ولدان/ جمع وليد = شبان خدم.

* وفى رأيى أنه ليس بالضرورة أن يكون جميع الولدان والغلمان من الخدم ومن غير البالغين ويرجح ذلك؛ قوله جل شأنه فى سورة الطور ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور٢٢: ٢٤] كما جاء أيضا فى سورة الإنسان﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان١٥: ١٩].

وإذا أعتبرنا أن الذين يطوفون بأكواب وأباريق وكأس من معين فى سورة الواقعة والذين يطوفون بأكواب من فضة فى سورة الإنسان هم من الخدم فإن الذين يطوفون وهم كاللؤلؤ المنثور فى سورة الإنسان ليسوا من الخدم كما أن الغلمان الذين هم كاللؤلؤ المكنون فى سورة الطور ليسوا أيضاً من الخدم. إن لفظى ولدان وغلمان لايعنيان أنهم على الدوام خدم. إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا﴾ كما يقول ﴿إنما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا﴾ ومن ذلك يتضح أن الولدان والغلمان يصح أن ألا يكونوا خدما فإذا كانت الكواعب الأتراب من نصيب الرجال فأرى أن الولدان والغلمان من نصيب النساء.

يقول الأستاذ/ محمد جلال كشك ـ خواطر مُسلم فى المسألة الجنسية ـ عن الغلمان والولدان «ومن ناحية أخرى فقد توصلت إلى رأى حول غلمان الجنة أو ولدانها، وهو أنهم للاستمتاع الجنسى لمن عف وتطهر فى الدنيا».

(يقصد من كان لهم ميل ورغبة من الرجال للشذوذ الجنسى ولكنهم تطهروا وعفوا عن ذلك)[1].

ويستطرد أن بعض المفسرين يقولون عن الولدان والغلمان أنهم أطفال للخدمة ويعترض على هذا القول ذاكرا أن الولدان والغلمان ليسوا أطفالا، يؤيد ذلك قول القرطبى عن الولدان والغلمان بأنهم باقون على ما هم عليه من الشباب والنضارة والغضاضة والحسن، لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مر الأزمنة.

---

(١) لا أوافقه على هذا الرأى.

قالت: ـ فـى حديث إذاعى قال فضـيلة الشيـخ محمد متـولى الشعراوى تفـسيرا لقـول الخالـق الكـريم ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الـدخـان: ٥٤]. وقـولـه: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠]. أن ذلك الزواج ليس هو الزواج الذى نمارسه فـى الحيـاة الـدنيـا[١] إذ أن المولى جـل علاه لم يقل زوجنـاهم حورا عينـا بل قال: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

أجاب: لا أوافق عـلى رأى فضيـلته إذ أن حلاوة الـلفظ وموسـيقى الآيات تـأبى ذلك. يقـول الحق تبارك اسـمه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [الدخـان ٥١: ٥٥]. كما يـقول ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطـور ١٧: ٢٢]. علاوة على ذلك يقول المـولــى جـل عــلاه ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الـواقـعـة:٣٧]. وقد جاء فى تـفسير الجلالين أن الله أنـشأهن عذارى وكلمـا أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى.

خلق الله سبحانه وتعالى النساء والرجال كـلٌ منهما يشتهى الآخر وهذا الاشتهاء هو الأساس الذى بسببه تتكون الأسرة مـن زوج وزوجة وبنين وبنات بل هو الدعامة الأساسـية التى عـليهـا تستمـر الحياة وتـتعاقب الأجـيال جيـلا وراء جيل، ليس فى الإنسان وحده بـل فى عالم الحيوان وربما فـى كافة الأحياء، ويدفن رأسـه فى الرمال كل من لا يرى أنه كما أن من الرجال من يتلصـصون ويختلسون النظر إلى السمـراء والشقراء وذات الـعيون الآسرة وذات الصوت النـاعم ، فإن من النسـاء بلا شك مَن يتلصصن ويختلـسن النظر إلى المنكبين العريضين والذراع المفـتولة والقامة الممدودة. غير أن المولى جل علاه عنـدما يحدثنا عن علاقة المرأة بالرجل فإنـه يستر المرأة صونا لها وحفاظا[٢] على كرامتها. يقول جل شأنه: ـ

(١) رغم أن فضيلته فى أحاديث أخرى قال عكس ذلك.

(٢) جاء نفس القول على لسان فضيلة الشيخ (محمد متولى الشعراوى) فى حديث إذاعى .

﴿زين للناس حب الشهوات من النساء﴾ ولم يأت قوله من النساء والرجال سترا للمرأة وصونا لها غير أن المرأة التى لا تستر نفسها لا يسترها الله، مثال ذلك امرأة العزيز وشأنها مع يوسف عليه السلام الذى تربى فى حجرها ولما بلغ مبلغ الرجال راودته عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت له هيت لك وافتضح أمرها فقالت نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه.

وكما يستر الله النساء فى الدنيا يسترهن فى الآخرة. إن الله يقولها صريحه واضحة فى سطور آياته فى كتابه المجيد بأنه سينعم على المؤمنين فى جنات الخُلد بالزوجات المطهرات وبالحور العين والكواعب الأتراب. كذلك فإن الله العلى الأعلى يقولها مبهمة مستترة بين سطور آياته بأنه سينعم على المؤمنات فى جنات الخلد بالأزواج المطهرة وبالحور العين والغلمان والولدان. يؤيد ذلك قول الحق جل علاه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٥].

وكما أن الله جل علاه يعنى فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إنما يعنى أيضا أن اللائى آمن وعملن الصالحات لهن جنات خالدات فيها. كما أن فى قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ إنما يعنى أيضا أن المتقيات فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسن من سندس وإستبرق كذلك وزوجناهن بحور عين.

الحج أشهر معلومات

قالت له : يقول جل من قائل»:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[البقرة : ١٩٧].

والشهر فترة معلومة حددها الخالق الكريم إذ يقول:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة :٣٦].

كما جاء بالكتاب الكريم ذكر أحد الشهور حين يقول سبحانه:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة : ١٨٥].

كما جاء ذكر الأشهر الحرم. ونعلم أن الشهر القمرى تسعة وعشرون يوماً من أيام الأرض أو ثلاثون يوما، كما نعلم أيضاً أن الفترة التى يستغرقها الحاج لاستكمال مناسك الحج بدءا من الإحرام وطواف القدوم وانتهاء بطواف الإفاضة هى أيام معدودات يحددها يوم الوقوف بعرفات فى التاسع من شهر ذى الحجة.

فلماذا تقتصر مدة الحج على تلك الأيام المعدودة فى حين يقول المولى سبحانه أن الحج أشهر معلومات وقد أكد سبحانه وتعالى تعدد تلك الأشهر بقوله: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾

أجاب: أحب أولا أن أعيد التأكيد بأننى لست من علماء الدين ، ولست مؤهلا للإجابة عن سؤالك ، فهو مجال تخصصهم، ولكن يمكننا معاً أن نستعرض الأمر من نواح مختلفة، نضعها على بساط البحث، ولست مدعيا أن علماء الدين قد غاب عنهم ما سنقول ، ولكن لكى نأخذ فى الاعتبار ماحدث وما يحتمل حدوثه من تغيرات فى عالمنا الإسلامي. إنه نظرا لزيادة عدد من يطلبون السماح لهم بأداء فريضة الحج كل عام تقوم السلطات السعودية بتحديد أعداد من يسمح لهم بذلك من الأقطار المختلفة حسب ما يتيسر من الإمكانيات التى يلزم توافرها للإقامة والمعيشة وأداء المناسك فى تلك الفترة القصيرة.

إن الدين عند الله الإسلام، ولاشك أن الله سبحانه وتعالى ناصر دينه، وسيدخل بإذن الله، الناس من مختلف الأجناس فى دين الله أفواجا، علاوة على ذلك فإن سكان العالم يتزايدون سنة بعد أخرى(*) . هب أن المسلمين قد بلغ عددهم (وليس ببعيد أن يحدث ذلك فى القريب) أربعة أو خمسة آلاف مليون وأن نصفا فى المائة

(*) يقدر عدد سكان العالم الآن بخمسة مليارات نسمة وينتظر أن يصل إلى ضعف هذا سنة ٢٠٣٥ وأغلب الزيادة ستكون فى الدول النامية ويقع العالم الإسلامى كله فى تلك الدول.

من هؤلاء يـريدون أداء فريضة الحـج فى كل عام ، معنـى ذلك أن عدد من يطـلبون الحج فى كل عام سوف يبلغ عشرين أو خمـسة وعشرين مليوناً ، ولاشك عندئذ أن من سيرفض طلبه تحت هذا النظام سوف يبلغ عددا هائلا.

قالت: لنستـعرض أولا ماذا يقول المفسرون عن قوله سبـحانه وتعالى: ﴿ الْـحَـجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾

لقد جـاء فى صحيح الـبخارى فى باب قوله سبحانه وتـعالى: ﴿الْـحَجُّ أَشْـهُـرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ (كتاب الحج ح ١٤٠٨ص١٠٤)

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : ـ الحج شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ـ من السنة ألا نحرم بالحج إلا فى أشهر الحج.

وكره عثمان رضى الله عنه: أن يحرم من خراسان وكرامان.

وجاء فى فتح البارى فى صحيح البخارى ص ٤٩١ :

قوله الله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ إلى قوله فى الحج وقوله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ قال العلماء تقدير قوله ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ أى الحج أشهر معلومات أو الحج أشهـر الحج أو وقت الحج أشهـر معلومات بـحذف المضاف وأقيـم المضاف إليه مقـامه. وقال الواحدى: يمكـن حمله على غـير إضمار وهو أن الأشهـر جعلت نفس الحج اتساعاً لكـون الحج يقع فيها كقولهم ليل نائـم. وقال الشيخ أبو إسحاق فى «المـهذب»: المراد وقت احـرام الحج لأن الحج لايـحتاج إلـى أشهر فدل عـلى أن المراد وقت الإحرام به، وأجمع العلماء على أن المراد بأشهر الحج ثلاثة أولها شوال، ولكن اختلفوا هل هـى ثلاثة بكاملها وهو قول مالك ونقل عـن «الإملاء» للشافعي، أو شهران وبعض الـثالث وهو قول الباقين، ثـم اختلفوا فقال ابن عـمر وابن عباس وابن الزبير وآخرون عـشر ليال من ذى الحجة وهل يدخل يـوم النحر أم لا ؟ قال أبو حنيفة وأحمد : ـ نعم وقال الـشافعى فى المشـهور المصحح عنـه : ـ لا. وقال بعض أتبـاعه : ـ تسـع من ذى الحـجة ولايصـح فى يوم الـنحر ولا فـى ليـلته وهـو شاذ .

واختلف العلماء أيضاً فى اعتبار هذه الأشهر هل هو على الشرط أو الاستحباب؟

فقال ابن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم من الصحابة والتابعين : ـ هو شرط فلا

يصح الإحرام بالحج إلا فيها، وهو قول الشافعي، واستدل بعضهم بالقياس على احرام الصلاة وليس بواضح لأن الصحيح عند الشافعية أن من أحرم بالحج فى غير أشهره انقلب عمرة تجزئه عن عمرة الفرض وأما الصلاة فلو أحرم قبل الوقت انقلب نفلا بشرط أن يكون ظانا دخول الوقت لا عالما فاختلفا من وجهين.

أجاب: يقول الحق سبحانه وتعالي أيضاً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ (*) قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[البقرة: ١٨٩]

وجاء فى معجم الوسيط:

مواقيت جمع ميقات وهو الموضع الذى جعل للشيء ليعمل عنده (علاوة على الميقات بمعنى الوقت المحدد لعمل معين).

وقد أوضح الرسول الكريم لنا المواقيت المكانية التى يبدأ عندها الإحرام بالحج أو العمرة وقد أطلق صلوات الله عليه على كل منها لفظ مُهَل (**) ولايصح أن يحرم بالحج (بخلاف العمرة) إلا فى أشهر الحج (ابتداء من شوال). روى عن أبى إسحاق السبيعى أن عمرو بن ميمون رأى عبدالرحمن بن أبى نعيم يحرم بالحج فى غير أشهره فقال لو أن أصحاب محمد أدركوه لرجموه.

وجاء فى صحيح البخارى (كتاب الحج ص ٨٣) تحت عنوان: ـ باب مواقيت الحج والعمرة «حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا زهير، قال: حدثنى زيد بن زهير، أنه أتى عبدالله بن عمر رضى الله عنهما فى منزله وله فسطاط وسرادق، فسألته من أين يجوز أن اعتمر؟

قال: «فرضها رسول الله ﷺ ـ لأهل نجد قرنا، ولأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة».

كما جاء فى نفس الكتاب تحت عنوان : باب ميقات أهل المدينة، ولا يُهَلوا قبل ذى الحليفة ص ٨٥):

(*) أهلة: كلمة أهلة جمع هلال وهو الشكل القمرى الذى يستدل به على أول الشهر الهجرى.

(**) مهل: إذ عندها يهلل الحجاج منادين «لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك» ولم أجد بالقواميس العربية جمعا لكلمة مهل، وبذلك تكون هذه الكلمة هى مواقيت للزمان (جمع هلال) وفى نفس الوقت مواقيت للمكان (جمع مهل)؟

حدثنا عبدالله بن يوسف وأخبرنا مالك، عن نافع، عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: يُهِل أهل المدينة من ذى الحليفة. وأهل الشام من الجحفة، وأهل نجد من قرن. قال عبدالله : ـ وبلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «يهل أهل اليمن من يلملم»

كما جاء فى نفس الكتاب فى باب من كان دون المواقيت ص ٨٦:

حدثنا قتيبة، حدثنا عماد، عن عمر، عن طاوس، عن ابن عباس، رضى الله عنهما: ـ أن النبى ﷺ «وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل اليمن يلملم، ولأهل نجد قرنا، فهى لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن، لمن كان يريد الحج والعمرة، فمن كان دونهن فمن أهله، حتى أن أهل مكة يُهلون منها».

قالت: لكى نعرض الأمر عرضا سليما يجدر بنا أن نترسم خطى الرسول الكريم ﷺ فى حجة الوداع أعلن ﷺ فى شهر ذى القعدة فى السنة العاشرة للهجرة بعزمه على الحج وما كاد النبأ يذيع فى الآفاق حتى توافد الناس إلى المدينة استعدادا لنيل شرف الصحبة مع الرسول الكريم وانضم إليهم فى الطريق إلى مكة خلق كثير حتى بلغ عدد من صحبه ﷺ نحو ٩٠ ألفا أو يزيد (الرسول ﷺ يعلم الناس مناسكهم فى حجة الوداع ـ (على حسب أمر الله)

خرج ﷺ من المدينة المنورة يوم السبت ٢٥ من ذى القعدة بعد أن صلي الظهر ووصل إلى ذى الحليفة (٩كيلو مترات من المدينة) وصلى بها العصر ركعتين وبات بها. وأحرم ﷺ بالحج يوم ٢٦ ذى القعدة قبل الظهر، صلى الظهر ركعتين ثم ركب راحلته القصواء متجها إلى مكة (٤٥٥ كيلو مترا كان يقطعها المسافر فى عشر مراحل والمرحلة ما كان يقطعها المسافر فى اليوم الواحد).

وصل ﷺ إلى ذى طوى (على مشارف مكة) وبات بها وتوجه إلى مكة فدخلها ضحى يوم الأحد ٤ ذى الحجة، وأدى مناسكه من الطواف بالكعبة سبعة أشواط والصلاة فى مقام إبراهيم والسعى بين الصفا والمروة ثم أقام ﷺ ومن معه فى بطحاء الحجون (بجوار مكة) أربعة أيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء (من ٤ إلى ٧ ذى الحجة) وكان يصلى بالناس حيث نزلوا، وفى يوم التروية وهو يوم الخميس ٨ ذى الحجة سار ﷺ بالحجيج ضحى إلى منى (٨كيلو مترات من مكة) دون أن يدخل

المسجد الحرام. وفى منى صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح حيث بات بمنى.

بعد طلوع شمس اليوم التاسع من ذى الحجة سار ﷺ والناس حوله يكبرون ويلبون حتى نزل فى مكان قريب من عرفة (فى نمرة) ليفيض مع الناس من عرفة امتثالا لأمر الله تعالى فى قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[البقرة : ١٩٩]

ولما انتصف النهار سار عليه السلام وأتى بطن الوادى من أرض عرفة، وخطب الناس خطبة واحدة بين فيها انتهاء عهد الشرك وفساد الجاهلية، وقرر حرمة الدماء والأموال والأعراض وأسقط الربا وأوصى بالنساء خيرا وذكرما عليهن لأزواجهن وما لهن عليهم. وأوصى بالتمسك بالكتاب والسنة وأشهد الناس على أنه قد بلغ ما أمره الله بتبليغه. بعدئذ أقيمت الصلاة فصلى بالحجيج الظهر والعصر جمع تقصير ثم ركب عليه الصلاة والسلام وأتى الموقف فى ذيل الجبل عند الصخرات، وأمر الناس أن يرتفعوا عن بطن عرفة لأنه ليس من الموقف.

وقال للناس وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف وخير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلى : ـ «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» . وظل ـ صلوات الله عليه ـ يدعو ويتضرع إلى الله حتى غروب الشمس.

وأقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فأمر منادياً ينادى «الحج عرفة» من جاء ليله جمع (المزدلفة) قبل طلوع الفجر فقد أدرك، أيام منى ثلاثة فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه. وبعد غروب الشمس تماما أفاض إلى المزدلفة (١٢ كم من عرفة). وفى المزدلفة صلى المغرب والعشاء جمعاً. نام بمزدلفة حتى طلع فجر يوم النحر فصلى الصبح ثم أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة وهلل وكبر ودعا حتى قرب طلوع الشمس وقال المزدلفة كلها موقف. وسأله عروة بن مضرس الطائى (وقد أتى متأخرا) عن حجه وهل يصح قال : من شهد صلاتنا هذه يعنى صلاة الفجر فى مزدلفة ـ فوقف معنا حتى ندفع ـ وقد وقف بعرفة ليلا أو نهارا ـ فقد تم حجه وقضى تفثه». أفاض صلوات الله عليه من مزدلفة إلى منى قبل الشروق وأمر بجمع الجمار فى الطريق، غير أنه ﷺ قد أذن للضعفاء وأغلمة بنى عبدالمطلب أن يتقدموا إلى منى قبل طلوع الشمس، وأمرهم ألا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس.

عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة كانت فيمن تقدم ، وأنها رمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت إلى مكة فطافت طواف الإفاضة وصلت الصبح بها ثم رجعت إلى مني. وعنها أن سودة رضى الله عنها استأذنت أن تدفع من المزدلفة قبل رسول الله ﷺ وقبل حطمة الناس (أى زحمتهم) وكانت امرأة بسطة (أى ضخمة الجسم) بطيئة الحركة فأذن لها. قالت عائشة رضى الله عنها أما نحن أى بقية نساء الرسول فبقين معه حتى أصبحنا فدفعنا بدفعة، ووددت أنى كنت استأذنت كما استأذنته سودة.

سار ﷺ من مزدلفة إلى منى ملبياً، وأمر الفضل بن عباس فى الطريق أن يلتقط له سبع حصيات لرمى الجمرة.

قصد ﷺ بعد الشروق إلى جمرة العقبة وهى أول الجمرات من جهة مكة وجه وجهه إليه جاعلاً البيت عن يساره ومنى عن يمينه، ورماه بسبع حصيات واحدة بعد واحدة، مكبرا مع كل حصاه ، ثم انقطع عن التلبية، وعاد توا إلى منزله بمني. ثم ذهب ﷺ إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ، بعدد سنيّ عمره، وأمر عليا رضى الله عنه أن ينحر ما بقى من المائة ، وقال عليه الصلاة والسلام «نحرت ها هنا ومنى كلها منحر، وفجاج مكة طريق ومنحر فانحروا فى رحالكم» ثم دعا ﷺ بالحلاق ، فحلق شعره، وقال: ـ رحم الله المحلقين. فقالوا : والمقصرين يارسول الله؟ قال: ـ رحم الله المحلقين . قالوا: والمقصرين؟ قال: رحم الله المحلقين . قالوا والمقصرين؟ قال : والمقصرين.

وعن عباس رضى الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «ليس على النساء حلق، وإنما يقصرن» ولم يصل رسول الله ﷺ فى هذا اليوم ، صلاة العيد، ولاخطب له خطبة . أفاض ﷺ قبل الظهر، فطاف بالمسجد الحرام، طواف الإفاضة، وعن جابر وابن عباس رضى الله عنهما، أنه طاف على راحلته، ثم صلى ركعتي الطواف ، فى مقام إبراهيم، وشرب من ماء زمزم، وروى عن ابن عباس، أن الرسول ﷺ قال: «ماء زمزم لما شرب له». ولم يسع ﷺ بعد ذلك بين الصفا والمروة، لأنه كان قارنا.

(أما المتمتع فيسعى للحج بعد هذا الطواف)

وعن جابر وعائشة رضى الله عنهما أن الرسول عليه الصلاة والسلام، صلى الظهر بمكة، ثم عاد إلى منى وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الظهر فى منى بعد عودته إليها، وهما حديثان صحيحان. إذ يرى الإمام النووى، أنه

صلى الظهر مرتين مرة بمكة بعد الطواف، ومرة بمنى بعد رجوعه إليها. ثم خطب صلوات الله عليه بعد صلاة الظهر بمنى.

وعن أبى بكر رضى الله عنه قال: ـ خطبنا النبى ﷺ يوم النحر فقال: أى يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال«أليس يوم النحر »؟ قلنا: بلي. قال: «أي شهر هذا؟» قلنا : الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟»

قلنا: بلى . قال: «أى بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظنننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليست البلدة ؟ قلنا بلى. قال : ـ «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم».

أعاد هذا القول مرارا ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: ـ «ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: ـ «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض».

وأمر الناس أن يأخذوا عنه مناسكهم.ووقف الناس عقب خطبته يسألونه: ـ فمنهم من حلق قبل أن يذبح، ومنهم من حلق قبل أن يرمى الجمرة، ومنهم من نحر قبل أن يرمي، وآخر أفاض قبل أن يرمي، وقال آخر: أفضت قبل أن أحلق. وآخر: أفضت قبل أن أذبح، وآخر: رميت بعد أن أمسيت، وكان يجيب فى كل حالة، لاحرج أو لابأس.

وبات ﷺ بمنى ليالى أيام التشريق الثلاثة، وقد أذن لمن لديه ظرف قهرى بعدم البيات بمنى والبيات بمكة أو خارجها. وفى منتصف النهار فى أول أيام التشريق (يوم الأحد) ذهب ، إلى الجمار ماشيا فرمى الجمرات الثلاث مبتدئا بالدنيا ومنتهيا بجمرة العقبة، وكان يقف بين كل جمرتين رافعا يديه داعيا ربه دعاء طويلا كسورة البقرة ولم يخطب فى هذا اليوم.

لما انتصف النهار ثانى أيام التشريق، ذهب عليه السلام ورمى الجمرات كما فعل فى اليوم السابق، وخطب خطبة يوم الرءوس، أوخطبة الوداع، فقال: ـ أتدرون أى يوم هذا ؟! قالوا : الله ورسوله أعلم. قال: هذا أوسط أيام التشريق. هل تدرون أى

بلد هـذا. قالوا الله ورسولـه أعلم. قال: هـذا المشعر الحـرام. وأن دماءكم وأموالـكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم وإني لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد هذا، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ألا هل بلغت؟!

وفى ثالـث أيام التشريق ولمـا انتصف النهـار رمى ـ صلوات الله عليـه ـ الجمرات كما فعل فى اليومين السابقين ، ثم ارتحل بعد أن مكث بمنى يوم الأضحى وثلاثة أيام التشريق التى ذكرهـا الله تعالي فى قوله:﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

أفاض ﷺ من منى ظهر يوم الثلاثاء، بعد رمى الجمار وقبل صلاة الظهر فنزل فى قبة ضربـت له بالمحصب (قرب مدخـل مكة الجنوبى الـغربي) وقد صلى بهـا الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

نزل ﷺ مكة ليطـوف طواف الوداع، فطاف طواف الوداع ليلا ثم صـلى الصبح، لم يعد ﷺ بعد الطواف إلى المحصب بـل خرج من مكة، وبات بذى طوى(كما بات بها قبل دخـوله مكة ـ قبل أداء الفريضة) فـلما أصبح سار قاصدا المدينـة بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة.

قالت له: مما سـبق نرى أن رسول الله ﷺ قد أحرم بالحج من ذى الحـليفة يوم ٢٦ ذى القعدة وطاف طواف الوداع قبل فجر يوم ١٤ ذى الحجة.

ويجب علينـا أن نلتزم بمواقيت الرسول ﷺ حيث كان يـوم التروية هو يوم ٨ ذى الحجـة، ويوم النـحر يوم ١٠ ذى الحـجة، وأيـام التشـريق الثـلاثة ١١،١٢،١٣ ذى الحجة. وقد قال صلوات الله عليه «خذوا عنى منـاسككم» كما قال:«تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا أبداً بعدى كتاب الله وسنتي».

أجاب: جاء بالقرآن الكريم﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ فسرها العلماء كما سبق أن ذكرنا شهور شوال وذى الـقعدة وذى الحجة كاملا أو منقوصـة وقد رأينا أن الرسول ﷺ قد قـضى فى الحج الـفتـرة من ٢٦ ذى الـقعـدة إلى ١٣ ذى الحـجة وهـى أيام معـدودات وفى العـصر الحديـث عصر الـطائـرات (وربما الصـواريخ فى المـستقـبل القـريـب) قـد يتـمكـن الحاج مـن أداء فريـضتـه قادمـا من أقـصى الأرض فـى يوم

واحد(*). والسؤال الآن هو: إذا كان النبى ﷺ قد قال أن الحج عرفة وأنه صلوات الله عليه قد وقف بعرفة يوم ٩ ذى الحجة فهل يجب لصحة أداء الفريضة أن يقف جميع حجاج الأرض من المسلمين يوم ٩ من ذى الحجة؟! رغم أن الحق سبحانه وتعالى يقول ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾

قالت: لقد حدد الرسول الكريم أيام الحج يوم وقف فى عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق.

أجاب: عندما خطب الرسول ﷺ الناس فى يوم النحر وفى خطبه الوداع فى أوسط أيام التشريق وسأل الناس: أى يوم هذا ؟ وأجابوه الله ورسوله أعلم. سماهما صلوات الله عليه يومى النحر وأوسط أيام التشريق ولم يسمهما ١٠،١٢ ذى الحجة ولما سأل الناس أى شهر هذا؟ وأجابوه: الله ورسوله أعلم. قال: شهر ذى الحجة، ولم يقل شهر الحج وتلك الدقة فى اختيار الألفاظ قد تعكس عدم وجوب الالتزام بيومى ١٠،١٢ ذى الحجة بأنهما يوما النحر وأوسط أيام التشريق وكذلك فإن الرسول الكريم لم يسم الشهر بشهر الحج قياسا على يومى النحر وأوسط أيام التشريق) بل سماه شهر ذى الحجة إذ لو سماه شهر الحج ولم يسمه شهر ذى الحجة لكان معنى ذلك أن الحج قاصرا على شهر واحد هو شهر ذى الحجة، ويكون فى ذلك تعارض مع كتاب الله الكريم الذى جاء فيه أن الحج أشهر معلومات كما ينبغى أن نلاحظ أن النبى ﷺ قال: أن الحج عرفة ولم يقل «الحج يوم عرفة».

إن رسول الله ﷺ لم يحج بعد أن تلقى رسالة ربه سبحانه وتعالى إلا مرة واحدة ويحق لنا أن نتساءل: هل لو قدر له أن يحج أكثر من مرة كان سيلتزم بالوقوف بعرفة يوم ٩ ذى الحجة؟

أجاب: حتى لو اعتبرنا أن الوقوف بعرفات يوم ٩ ذى الحجة سنة عن الرسول عليه السلام، وليس فرضا، فيجب أن نلتزم بسنته.

قالت: لاشك أنه يتحتم علينا أن نتبع سنة الرسول الكريم غير أننا نضطر لمخالفة سنته فى أحيان قليلة أو كثيرة عندما يصعب علينا أو يتعذر أن نتبعها. لقد حج صلوات الله عليه على ظهر ناقته القصواء فهل نلتزم لكى نتبع سنته أن يحج كل

(*) يتمكن بعض الحجاج الآن من أداء الفريضة قياما من مصر فى يوم واحد.

حاج أو اثنين على ناقة ؟! لو صح هذا لأصبح الطريق بين مكة ومنى ومزدلفة نوقا متراصة لاتخطو قيد أنملة ، وهل نتبع ما اتبعه الرسول يوم النحر إذ قد نحر بيديه الكريمتين ثلاثا وستين بدنة أكملها على رضى الله عنه إلى مائة.

إن ديننا القويم يسر لاعسر وقد قال ﷺ «يسروا ولاتعسروا» كما جاء فى كتابه الكريم قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥] وقد سمح صلوات الله عليه لبعض الحجاج أن يتقدموا عليه من مزدلفة إلى منى كما سمح بعدم الالتزام بالبقاء فى منى طيلة أيام التشريق وأحد أسباب ذلك تجنب شدة الزحام فى بيت الله الحرام فى طواف الإفاضة وطواف الوداع ، إننا الآن لانتمسك بحرفية ماكان يقوم به الرسول الكريم منذ أربعة عشر قرنا واعتباره من السنة الكريمة بل اضطررنا تحت وطأة الظروف وفى ظل المدنية الحديثة أن نحيد عنه فأصبحنا نحج بالطائرة لسنا راجلين أو ممتطين ظهور الجمال ولم يعد السعى بين الصفا والمروة على أرض من الحصى والرمال والحجارة بل على أرض ملساء من الرخام فى جو مكيف بعيد عن حرارة الشمس أو زمهرير البرد كما زود الحرم المكى بسلم كهربائى ينقل الحجاج إلى أعلى المسجد الذى وضع به العديد من أجهزة تكيف الهواء كما زودت منى وعرفة ومزدلفة بدورات مياه نظيفة فاخرة صحية بعد أن كان الحجاج يقضون شأنا من شئونهم الحيوية فى الخلاء كذلك قد أنشئت المصانع لحفظ لحوم الأضاحى وتعبئتها وإرسالها إلى الفقراء بدول متعددة بدلا من تركها للفساد تتكاثر عليها الميكروبات، وقياسا على كل تلك المخالفات عما كان سائدا فى عهد الرسول الكريم هل سيأتى يوم نقتدى فيه برسولنا الكريم صلوات الله عليه فى جوهر الحج بتنفيذ خطواته ومناسكه دون أن نتقيد بالوقوف بعرفة فى يوم واحد هو يوم ٩ ذى الحجة بل يمكننا أن نقف فى أى يوم من شهور الحج الثلاثة غير مخالفين لقول الخالق الكريم: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾

قالت: رغم أن الرسول الكريم قد قال: «الحج عرفة» ولم يقل الحج يوم عرفة إلا أنه قد قال أيضاً ما من يوم أكثر أن يعتق الله عبادى من النار من يوم عرفة كما قال : «وأما وقوفك بعرفة عشية يوم عرفة، فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا، فيباهى بكم الملائكة ويقول عبادى جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق، أفيضوا عبادى مغفورا لكم ولمن شفعتهم فيه». ويقول الرسول الكريم أيضاً «ما رأى الشيطان أحقر ولا

أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه من يوم عرفة، وما ذلك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام».

أجاب: حينئذ يكون الوقوف بعرفة ابتداء من أول شوال إلى آخر ذى الحجة أو من أول شوال إلى ٩،١٠ ذى الحجة (حسب اختلاف المفسرين فى قوله الكريم: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ بذلك نعتبر أن يوم عرفة هو يوم طوله ثلاثة أشهر كاملة أومنقوصة ولكل حاج يوم وقوفه ويوم نحره وأيام التشريق الخاصة به كل حسب ما تسمح به الظروف.

قالت: ومتى تقام إذن صلاة عيد الأضحى وخطبته.

أجاب: أن الرسول الكريم فى حجته لم يقم صلاة عيد ولاخطب خطبة عيد.

لقد استن الرسول الكريم فى السنة الثانية للهجرة أن يحتفل المسلمون فى كل عام بعيدين عيد الفطر وعيد الأضحى ونعرف أن يوم الأضحى هو اليوم الذى هم فيه سيدنا إبراهيم بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام تنفيذا لأمر ربه الذى افتداه سبحانه وتعالى بكبش من السماء ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات :١٠٧]

ومن ذلك نعرف أن الرسول الكريم قد حدد موعد عيد الأضحى قبل أن يؤدى فريضة الحج بثمانية أعوام.

إن الحج ركن من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا ولم يطلب الخالق الكريم من الناس القيام به ببداية رسالة الرسول الكريم ولكنه طلب من آدم عليه السلام إذ جاء فى الحديث الشريف «أوصى الله آدم عليه السلام أن يا آدم حج هذا البيت قبل أن يحدث بك حدث الموت» (الحج والعمرة فى القرآن والسنة ـ عثمان محمد زهدى).

كما يقول الرسول الكريم «أن داود النبى ﷺ قال: «يا إلهى ما لعباد عليك إذا هم زاروك فى بيتك. قال لكل زائر حق على المزور، يا داود إن لهم حقا أن أعفيهم فى الدنيا وأغفر لهم إذا لقيتهم».

ويقول الخالق الكريم فى كتابه المجيد عن إبراهيم عليه السلام:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ

وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج:٢٦،٢٧]

﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة:١٢٥،١٢٦]

وبذلك نرى أن الخالق جل جلاله قد كتب على الناس الحج إلى بيته الكريم من آدم وإلى أن تقوم الساعة. وقد وقف الأنبياء جميعاً يتضرعون ويدعون الله على جبل عرفة إذ يقول الرسول الكريم:«خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلى «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك ، وله الحمد، وهوعلى كل شىء قدير».

فهل وقف الأنبياء جميعاً بعرفة يوم ٩ من ذى الحجة؟

قالت: جاء فى كتاب الله المجيد:﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[الفجر:١،٢]

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة :٢٠٣]

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾[الحج:٢٨]

ويقول المفسرون أن الليالى العشر هى الليالى الأولى من شهر ذى الحجة كما يقولون أن الأيام المعدودات والأيام المعلومات هى يوم النحر وأيام التشريق. وفى ذلك تأكيد بموعد الحج والوقوف بعرفة يوم ٩ ذى الحجة كما فعل رسول الله صلوات الله عليه.

أجاب: اختلف المفسرون فى تفسير الليالى العشر.

جاء فى تفسير الألوسى:

أخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس أنهن العشر الأواخر من رمضان.

وجاء فى القرطبى:

عن ابن عباس هى العشر الأواخر من رمضان ، وقيل هى العشر الأول من المحرم التى عاشرها يوم عاشوراء.

وقال الإمام محمد عبده فى تفسيره هى عشر الليالى فى أول كل شهر.

وجاء فى تفسير الطبرسى: «وليال عشر» هى عشر ذى الحجة عن مجاهد والضحاك وقيل فى أول المحرم وقيل عن ابن عباس: «تعنى العشر من ذى الحجة وقيل هى العشر الأواخر من شهر رمضان وقيل إنها عشر موسى للثلاثين ليلة التى أتمها الله بها.

وفى تفسير ابن كثير: «وليال عشر» (المراد بها عشر ذى الحجة).

كما قال ابن عباس وابن الزبير: وقيل المراد بذلك العشر الأول من المحرم، وقيل العشر الأول من رمضان.

ومما سبق يتضح أن المفسرين قد اختلفوا فى تفسير الليالى العشر وأن أغلبهم لم يفسرها بأنها العشر الأوائل من ذى الحجة لكنهم قد أجمعوا على أن الأيام المعدودات والأيام المعلومات هى الأيام التى تكتمل بها مناسك الحج فى يوم النحر وأيام التشريق.

ولقد سبق أن ذكرنا أنه إذا صح أن نعتبر الحج ثلاثة أشهر يكون لكل حاج أيامه المعلومات أو المعدودات التى يذكر الله فيها حسب يوم وقوفه بعرفة.

قالت:

يفسر كثير من العلماء ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ أن الحجاج فى الزمن الماضى كانوا يتحملون مشاق كثيرة. منهم من كانوا يأتون إلى بيت الله الحرام من بلاد نائية راجلين أو على ظهور الدواب وبذلك يقضون لإتمام مناسك الحج وقتا طويلا قد يصل إلى عدة أشهر.

أجاب: لقد وضح لنا أن الحج يبدأ بالإحرام، وقد حدد الرسول الكريم ﷺ مواقيت الإحرام إذ حدد للقادمين من الشام (وتبعد نحو ٢١٠ كيلو مترات من مكة) وقرن المنازل لأهل نجد (وتبعد عن مكة بمقدار ٧٣ كيلو مترا) وذات عرق لأهل العراق (وتبعد عن مكة ٦٥ كيلو مترا) كما وقت يلملم لأهل اليمن (وتبعد ٨٠ كيلو مترا من مكة).

ومن ذلك نرى أن أبعد هذه المواقيت هو ميقات القادمين من جهة المدينة وقد قطع رسول الله ﷺ تلك المسافة على راحلته فى الفترة من ٢٦ ذى القعدة حيث

وصل إلى مكة المكرمة يوم ٤ ذى الحجة وتلك المسافة يقطعها الحجاج بالسيارة الآن فى بضع ساعات بل تقطعها الطائرة فيما يقرب من نصف ساعة. أن الوقت الذى يقضيه الحجاج خارج المواقيت لايعتبر من فترة الحج وقد ذكرنا أن سيدنا عثمان رضى الله عنه قد كره أن يحرم بالحج الميقات إذ جاء فى صحيح البخارى:

(كره عثمان رضى الله عنه أن يحرم من خراسان أو كرامان) وصله سعيد بن منصور.

«حدثنا هشيم حدثنا يونس بن عبيد أخبرنا الحسن هوالبصرى أن عبدالله بن عامر أحرم من خراسان، فلما قدم على عثمان فلامه وقال: غزوت وهان عليك نسكك» وروى أحمد بن سيار فى «تاريخ مرو» من طريق داود بن أبى هند قال:«لما فتح عبدالله بن عامر خراسان قال:« لأجعلن شكرى لله أن أخرج من موضعى هذا محرما، فأحرم من نيسابور، فلما قدم على عثمان لامه على ما صنع».

إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ ليس فقط لمن سبقونا فى أزمنة غابرة بل يقوله أيضاً لنا ولمن سيخلفوننا وإلى أن تقوم الساعة.

إن القرآن الكريم يخاطب الناس من وقت آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قالت: لو سلمنا جدلا بما تقول فهل يرضى الناس بمخالفة سنة رسولنا الكريم بأن يقف بعرفة تأدية لمناسك الحج فى غير يوم ٩ ذى الحجة.

أجاب: ـ قد سبق أن ذكرنا أن ديننا الحنيف يسر لاعسر وقد أباح لنا الخالق الكريم أن نؤدى الصلاة فى غير مواعيدها رغم قوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾.

لقد أباح الخالق الكريم تقديم صلاتى العصر والعشاء لتصلى مع الظهر والمغرب كما أباح تأخير صلاتى الظهر والمغرب فتصلى مع العصر والعشاء وذلك فى (*) أوقات السفر.

كما أباح الخالق الكريم أن نؤجل صيام رمضان فى قوله تعالى: ﴿فمن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ .

(*) قد استشهد عدد كبير من الحجاج فى موسم الحج سنة (١٤١٤) بسبب الزحام الشديد إذ داستهم الأقدام عند رمى الجمرات.

وكذلك أباح المولى سبحانه وتعالى الصلاة على جنابه والتيمم فى الوضوء لعابرى السبيل وعندما لا يتوفر الماء:

كما أن هناك قاعدة فى ديننا الحنيف تقول «لا ضرر ولا ضرار» ولنا أن نتخيل ما يؤديه الزحام الشديد فى تلك الرقعة الطاهرة المحدودة عندما يتزايد عدد المطالبين بالحج أضعاف ما هو عليه اليوم، من انتشار الأمراض ومن أخطار الزحام تؤدى إلى الموت.

قالت: قد أثير هذا الموضوع فى الصحف فى الأيام الأخيرة ـ وإليك ما جاء بصحيفة الأهرام بتاريخ ٢٨/ ٣/ ٩٩ بالعمود اليومى، مجرد رأى، بقلم/ صلاح منتصر.

جاء ما يلى بعنوان: (الحج أشهر معلومات).

هذه رسالة قد تثير جدلا ولكن الرجاء أن يظل فى إطار الدين وتعاليمه... والرسالة لها علاقة بالحج وبالملايين الذين عاشوا فرحة الوقوف بعرفة أمس الأول، وبآخرين غيرهم كثيرين كانوا يتمنون مشاركتهم هذه الفرحة ولكن بسبب المساحة المحدودة فإن السلطات السعودية تضطر مجبرة إلى تحديد أعداد الحجاج تنظيما لعملية الحج وحماية لهم من أحداث الزحام وما يقع فيه خاصة أثناء رمى الجمرات.. هذا الزحام والتزايد فى أعداد الحجاج سنة بعد سنة جعل صاحب الرسالة. اللواء متقاعد محمد شبل ـ يسأل: ماذا سيحدث بعد ١٠٠ سنة أخرى؟ هل يشرع الله عبادة الحج وهو يعلم ـ سبحانه وتعالى ـ أنه سيأتى يوم يمكن أن تضيق فيه الأرض بالحجاج ويتعرضوا للموت؟ ويقول صاحب الرسالة: رجعت إلى القرآن الكريم مصدر التشريع فوجدت قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة آية ١٩٧] وهو ما يعنى أن الحج يتم على مدار (أشهر) وليس خلال (أيام).

ورجعت إلى كتب التفسير فوجدت فى تفسير ابن كثير ما يلى: ـ

١ ـ أن أشهر الحج هى: ـ شوال وذو القعدة وذو الحجة.

٢ ـ أن الإمام الشافعى ذهب إلى أنه لا يصح الاحرام بالحج إلا فى هذه الأشهر.

٣ ـ أن الأئمة مالك وأبا حنيفة وابن حنبل ذهبوا إلى أنه يصح الاحرام بالحج فى

السنة كلها كالعمرة مستدلين بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] فما الذى جعل المسلمين يحصرون مناسك الحج فى بضعة أيام ؟ الذى حدث أن المسلمين دأبوا على إنجاز الحج فى الفترة نفسها التى أنجز فيها الرسول حجته الوحيدة وكانت من ٤ إلى ١٠ ذى الحجة سنة ١٠ هجرية، وهو واحد من الأشهر التى نص عليها القرآن فى قوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ ولم يحج الرسول مرة ثانية فى التوقيت نفسه حتى نتأكد من أنه أمر توقيتى موحى به. والذين يعارضون هذا القول يقولون أن الذى يتم على مدار أشهر الحج هو (الإحرام بالحج) وليس (الحج)، وهو قول لم يرد عليه دليل من الكتاب أو السنة. فلم نقرأ فى القرآن تعبير «الإحرام بالحج أشهر» وإنما قرأنا «الحج أشهر» ولا أتصور أن شخصا يقوم بالإحرام بالحج بما يشتمل عليه من التجرد من المخيط (لبس البشكير) ومنع التطيب ومنع الاتصال بزوجته ويظل هكذا على مدى أشهر قبل أن يبدأ الحج.

أما بالنسبة لتوقيت الوقوف بعرفة فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «الحج عرفة» ولم يقل إن عرفة يوم ٩ من ذى الحجة. وانتهى بما سبق أن أكدته فى البداية وهو الهدف ليس الإشارة وإنما مناقشة هادفة فى إطار الإيمان الكامل.

كما جاء بجريدة الأهرام أيضا بتاريخ ٢/ ٤/ ١٩٩٩ ما يلى: ـ

بعد ارتفاع عدد الحجيج: فترة أداء المناسك هل يمكن مدها إلى أشهر لاستيعاب أكبر عدد من الحجاج؟

يقول الدكتور إسماعيل الدفتار الأستاذ بجامعة الأزهر:

إن أمور الدين منظمة بأسلوب محكم ولا تخضع للأمزجة والرغبات، فالحج فريضة لها توقيتها وأعمالها التى أوضحها القرآن الكريم وبينها المصطفى ﷺ، مؤكدا أن التوقيت من خصائص العبادات مثل الصلاة والصيام، ولو لم يكن الحج كذلك لكان مجرد زيارة ولما كان هناك فرق بينه وبين العمرة التى تؤدى فى أى وقت من العام ، ومن ثم فلم يكن هناك داع لوجودها وشرعهما، بل كان قد اكتفى الشرع بواحد منهما.

ويضيف أن قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ يبين وجوه انتفاع الناس بالزمان وبالأهلة عموما، ومن بينها معرفة ميقات الحج الذى لا

يمكن تحديده إلا بمعرفة أوائل الشهور كلها، كما أن ذكر الحج فى هذه الآية لا يعنى أن وقته هو (الأهلة) كلها، وإنما يعنى أن له وقتا خاصا واهتماما خاصا يجب أن تلاحظ الأهلة من أجله ولو كان العام كله وقتا للحج لما كانت هناك حاجة إلى ذكره فى الآية السابقة لأن الذى يؤدى الحج هم الناس وقد ذكر قبله وهى مواقيت للناس» فتشمل كل التوقيتات ثم جاء بعد ذكر الحج ليوضح أن فيه خصوصية.

ويؤكد أن القرآن الكريم قد بين أن للحج أشهرا مخصوصة ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ ووصف الأشهر فى هذه الآية بأنها (معلومات) يعنى أنهم يعرفونها وتسمية شهر ذى الحجة واضحة الدلالة على ذلك، أو يعنى أن الرسول - ﷺ - قد علمهم إياها والأحاديث فى ذلك كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا.

وفى رده على القول بأن الأشهر الثلاثة هى وقت تؤدى فيه أعمال الحج كلها فى أى أيام منها يختارها الذى يعزم على الحج، يقول: إن هذا التفكير قد سد القرآن الكريم منافذه حيث أوضح أن أهم أعمال الحج تتم فى أيام معلومات ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ ثم تتابع الأفعال مرتبطة بحرف العطف إلى قوله تعالى ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ولقد جاء عن البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - ما يوضح أن الأيام المعلومات الواردة فى الآية السابقة هي العشرة الأوائل من ذى الحجة وأن الأيام المعدودات المذكورة فى قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ هى أيام التشريق.

ويضيف الدكتور الدفتار: أنه لو كانت أعمال الحج كلها فى الأشهر الثلاثة لما كان هناك ما يدعو إلى التمتع بالعمرة إلى الحج الذى ورد فى قوله تعالى ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ وقد ورد فى الأحاديث النبوية أن اليوم المذكور فى هذه الآية هو يوم النحر أو يوم عرفة. ويشير إلى أن أعمال الحج تبدأ بالإحرام فى أى يوم من الأشهر الثلاثة، ثم تكون بعض أعماله فى الأيام العشرة من ذى الحجة، ثم يأتى أهم الأركان فى يوم عرفة ويوم

النحر، موضحا أن جواز الإحرام فى السنة كلها عند بعض الفقهاء يماثل جواز الوضوء قبل موعد الصلاة بفترة ، فمثلا يجوز الوضوء عند صلاة الظهر ثم تؤدى بهذا الوضوء صلاة العشاء ، ولكن كون المسلم متوضئا منذ صلاة الظهر لا يجيز له أن يؤدى صلاة العشاء قبل موعدها. وفيما يتعلق بتعلل البعض بقول الرسول أن الحج عرفة وأنه لم يقل يوم التاسع من عرفة، يوضح أن الناس جميعا من قبل الإسلام يعلمون أن التاسع من ذى الحجة هو يوم عرفة، والأمر المشهور المتعارف عليه لا يحتاج إلى بيان.

وبتاريخ ١٣/ ٤/ ١٩٩٩ جاء بنفس الصحيفة رد المفتى الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل على السؤال: هل يمكن إقامة مناسك الحج خلال أشهر الحج كلها (شوال وذو القعدة وذو الحجة) وليس فى أيام الحج المعروفة؟ للإجابة عن ذلك يقول فضيلته:

أولا: إن الله قال فى كتابه الكريم ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ وظاهر التقدير على حذف ما فهم من الكلام كما هو متبع فى لغة العرب وحذف ما يعلم جائز. والتقدير أن وقت الحج أشهر معلومات أو أن وقت عمل الحج أشهر وقيل الحج فى أشهر.

ثانيا ـ روى عن رسول الله ﷺ فى ركن الحج الأعظم أنه قال (الحج عرفة) ووقته كما هو مقرر من بعد زوال يوم التاسع من ذى الحجة إلى ما قبل فجر يوم النحر.

ثالثا ـ من المقرر شرعا أن القرآن الكريم وهو مصدر التشريع الأول للمسلمين جاء فى بعض أحكامه مجملا وجاءت السنة الشريفة موضحة ومبينة ومفصلة ومفسرة له. وعلى سبيل المثال فإن السنة هى التى جاءت لتبين بالنسبة للصلاة بداية ونهاية كل وقت وعدد ركعات كل فرض وكيفية القراءة سرا وجهرا فى كل وقت وأيضا بالنسبة للزكاة وضحت السنة بداية النصاب فى النقدين وزكاة الزروع والثمار وأيضا زكاة الحيوانات.

ولما جاء القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ ورد أيضا على سبيل الإجمال وليس التفصيل. فجاءت السنة لتوضيح ذلك بحجة الوداع وقوله (ﷺ): «خذوا عنى مناسككم» ولو كان الحج يجوز فى أشهر الحج كلها وليس فى الأيام المخصصة لذلك لبينه ووضحه الرسول.

رابعا ـ لم يرد عن الرسول (ﷺ) ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن المسلمين إلى يومنا هذا أو كائن ما أنه حج فى غير هذه الأيام ولا فعل غير هذه المناسك ولو كان ذلك جائزا شرعا لفعلوه مثل العمرة ، فهى جائزة فى كل أيام العام ولاشتهر بين عامتهم وخاصتهم. وبما أنه لم يرد عنهم ذلك فيصبح فعله مقصورا على أيام الحج فقط.

خامسا ـ لو تركت هذه الشعيرة لأهواء المسلمين ورغباتهم كما ينادى صاحب الرسالة (م . رأى ٢٨/ ٣/ ٩٩) لخرجت عما فعله الرسول وحدده بقوله وفعله وهى الالتزام بأيام معينة وأوقات محددة ولصار هناك أكثر من وقفة لعرفات وأكثر من وقت لجميع الشعائر. بل أكثر من هذا ربما ينادى بعض الناس بأن يكون هناك أكثر من مكان لرمى الجمار تلافيا للزحام وتصبح شعائر الدين ملكا للأهواء واجتهاد الناس وعرضة للتبديل والتغيير وضاعت الحكمة الربانية من أداء الحج فى زمن معين يجتمع فيه المسلمون فى مكان واحد ولباس واحد طمعا فى رحمته.

وبتاريخ ١٥/ ٤/١٩٩٠ جاء ما يلى بعنوان «فصل لربك وانحر».

من الأستاذ محمود كمال مدير تعليم بالمعاش:

أوصانا رسول الله ﷺ بصيام يوم عرفة لمن لم يحج وبين ﷺ أن هذا اليوم أفضل أيام السنة فإذا كان الحج ممكنا خلال أشهر معلومات أى خلال كل أيام شوال وذى القعدة وذى الحجة، ففي أي يوم يكون صيام المسلم الذى لم يسافر للحج؟

وغير ذلك فقد بين لنا الرسول أن عيدى المسلمين هما عيدا الفطر والأضحى فمتى يكون عيد الأضحى إذا كانت لكل مجموعة من الحجاج وقفة خاصة فى عرفات، ومتى تذبح الأضاحى التى قال الحق فى تحديد موعد نحرها «فصل لربك وانحر» أى صلى العيد وأذبح الأضحية بعد صلاة العيد.

ومما تقدم يتضح أن علماء الدين ومنهم فضيلة المفتى الدكتور نصر فريد واصل وفضيلة الشيخ اسماعيل الدفتار لم يوافقوا على الرأى الذى يقول بأنه يمكن أداء فريضة الحج فى غير يوم ٩ ذى الحجة ابتداء من أول شوال.

أجاب: ـ أولا ـ: الرأى الذى ينادى بجواز الحج فى غير يوم ٩ ذى الحجة ليس

صادرا عن الأهواء والأمزجة والرغبات ولكنه صادر عن كتاب الله الكريم الذى يقول: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾.

ثانياً: ـ أن الرسول الكريم سواء فى السنة المشرفة أو فى الكتاب المجيد، لا ينطق عن الهوى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم ١:٤].

ولا يمكن أن يتعارض ما يوحى به إلى الرسول صلوات الله عليه فى القرآن الكريم مع ما يوحى به إليه فى السنة المشرفة حاشا لله أن تتعارض سنة الرسول الكريم مع الكتاب المجيد حاشا لله أن يحدث ذلك، لو حدث لكان معناه أن الرسول يخالف فى قوله وعمله ما أوحى به المولى عليه فى كتابه المجيد وبعبارة أخرى أنه يبدل قول الله بالفعل أو بالقول: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥]. ليس هناك تعارض فى سنة الرسول فى مناسك الحج مع آيات القرآن الكريم ولكن التعارض يكمن فى تفسير المفسرين لتلك الآيات. قال الرسول صلوات الله عليه الحج عرفة ولم يقل الحج يوم عرفة ، إذ لو قال ذلك لتعارض معارضة صريحة مع قول الخالق الكريم ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾.

وقد خطب صلوات الله عليه الناس يومى النحر وأوسط أيام التشريق وسماهما كذلك (يوم النحر وأوسط أيام التشريق) ولم يسمهما يوم ١٠ ويوم ١٢ ذى الحجة، فى حين أنه سمى الشهر بذى الحجة ولم يسمه شهر الحج فلو سماه شهر الحج لتعارض أيضا مع الكتاب الكريم.

ثالثا ـ: يقول فضيلة المفتى (فما رواه أصحاب السنن بإسناد صحيح بأن الرسول الكريم ﷺ قال «الحج عرفة ـ ثلاثا ـ من أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر «يقصد فجر يوم النحر» فقد أدرك الحج).

وجاء فى كتيب الرسول ﷺ يعلم الناس مناسكهم فى حجة الوداع.

للأستاذ على حسب الله. أستاذ الشريعة الإسلامية.

وأقبل ناس من أهل نجد فسألوه «أى الرسول عليه الصلاة والسلام» عن الحج، فأمر مناديا ينادى الحج عرفة (من جاء ليلة جمع يعنى المزدلفة قبل طلوع الفجر فقد أدرك).

ومن ذلك يتضح أن الرسول الكريم يقول أن من وقف بعرفة فى أى وقت قبل فجر يوم ١٠ ذى الحجة فقد تم حجه أى أن الرسول الكريم قد حدد نهاية الحج ولم يحدد بدايته، لقد حدد تلك البداية الأئمة بأنها أول شوال عندما فسروا الآية الكريمة ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ وحدد الرسول الكريم الحج بالوقوف بعرفة قبل فجر يوم ١٠ ذى الحجة. ويمكننا أن نشبه ذلك بأن من يؤدى صلاة العشاء بعد الأذان بها وقبل فجر اليوم التالى فقد أدرك تلك الصلاة.

رابعا: ـ القول بأن السّنة تأتى تفسيرا للقرآن لا يعنى أن السنة تأتى مخالفة للقرآن. يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [٤٣: البقرة]. لم يوضح القرآن الكريم عدد الصلوات وأوقاتها ولكنه قال جل شأنه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [٢٣٨: البقرة]. ومن هذا القول الكريم يجب أن يكون عدد تلك الصوات عددا فرديا ولذلك حددها الرسول الكريم بخمس صلوات ليست أربعا ولا ستا ولا عشرة. أما عن الزكاة فلم يرد أى شىء عن قيمتها فى الكتاب الكريم ولذلك بينها الرسول صلوات الله عليه فى السّنة.

خامسا: ـ لا ارتباط بين عيد الأضحى المبارك والحج ولا بين قوله الكريم ﴿فصل لربك وانحر﴾ والحج. لقد أستن رسولنا الكريم للمسلمين عيدى الفطر والأضحى فى السنة الثانية للهجرة ولم يوضح مناسك الحج إلا فى السنة العاشرة، إضافة إلى ذلك أن سورة الكوثر سورة مكية كما لا ننسى أن الرسول الكريم عندما أدى فريضة الحج لم يصل صلاة عيد ولا خطب خطبة عيد. إن الاحتفال بعيد الأضحى، وكذلك صلاته سنّة يؤديها من هم ليسوا على عرفات وهم يؤدونها على الدوام يوم ١٠ من ذى الحجة.

سادسا: ـ القول بأن المسلمين من وقت الرسول الكريم إلى الآن يلتزمون بالوقوف بعرفة يوم ٩ ذى الحجة نرد عليه بأنه لم يكن هناك ضرورة من وقت أن أدى الرسول الكريم فريضة الحج وإلى يومنا هذا أن يخالف المسلمون المواقيت الزمنية التى أدى فيها صلوات الله عليه تلك الفريضة فإذا دعت الضرورة فإن القرآن الكريم يبيح ذلك إذا جاء به: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾.

يقول فضيلة الشيخ الدفتار: ـ إننا نجد القرآن الكريم قد ذكر اليوم الأكبر للحج

فـقـال: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ وقد ورد فى الاحاديث النبوية أن اليوم المذكور فى هذه الآية هو يوم النحر أو يوم عرفة.

ونرد على ذلك بأن الحق جل جلاله لم يطلب منا حجا أكبر ولكنه فرض الحج لمن استطاع إليه سبيلا إن الحج الأكبر هو يوم أن حرم على المشركين دخول البيت الحرام.

سابعا: ـ لا يجوز الإحرام بالحج إلا من المواقيت التى بينها رسولنا الكريم والتى أطلق على كل منها لفظ (مُهل) وأبعد تلك المواقيت هو للقادمين من المدينة المنورة وتبعد ٤٥٥ ك.م من مكة تقطعها الطائرة فى نصف ساعة. يقول الحق جلا وعلا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ وأرى أن لفظ أهلة يعتبر جمعا للفظى هلال ومهل أى أن الأهلة مواقيت زمان ومكان.

ثامنا: ـ الدين يسر لا عسر. يقول نبينا الكريم يسروا ولا تعسروا، وعندما سئل فى حجة الوداع عن التقصير والذبح والإفاضة والرمى فى التقديم والتأخير كان يجيب افعل ولاحرج. علاوة على ذلك فإن المولى جل علاه قد أباح التيمم فى الوضوء والتقديم والتأخير والتقصير فى الصلاة كما أباح تأجيل الصيام فى رمضان بقوله ﴿فمن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾.

تاسعا: ـ أجمع الأئمة الأربعة على أن أشهر الحج المعلومات تبدأ ببداية شهر شوال ولكنهم اختلفوا فى نهاية تلك الأشهر، يقول مالك أن تلك الأشهر تنتهى بنهاية شهر ذى الحجة ويقول أبو حنيفة وابن حنبل أن نهايتها ١٠ ذى الحجة ويقول الشافعى أن نهايتها ٩ ذى الحجة. ومن قول الرسول الكريم يتضح أن نهاية تلك الأشهر هو نهاية يوم ٩ وقبل بدء ١٠ ذى الحجة أى قبل فجر هذا اليوم.

كما اختلف المفسرون فى تحديد يوم الحج الأكبر منهم من قال يوم عرفة ومنهم من قال يوم النحر وأرى قياسا على ما سبق أن ذلك اليوم هو يوم ٩ ذى الحجة وقبل فجر يوم ١٠ من هذا الشهر.

عاشراً: ـ يقول فضيلة المفتى أن القرآن الكريم قد جاء فى بعض أحكامه مجملا وجاءت السنة الشريفة موضحة ومبينة ومفصلة ومفسرة له. ونوافق فضيلته على أن سنة الرسول الكريم قد أتت موضحة ولكنها لم تأت مصححة، يقول الحق تبارك

اسمه ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ وقد أكد بأنه أشهر بقوله: ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾، فإذا وافقنا على قول المفسرين بأن الرسول الكريم قد وضح تلك الآيات بأن الحج هو يوم ٩ من ذى الحجة، لكان معنى ذلك أن الرسول الكريم قد صحح بالسنة ما جاء بالقرآن والرسول الكريم براءٌ من ذلك، لقد حج الرسول الكريم حجة واحدة فوقف بعرفة يوم ٩ من ذى الحجة وهو يوم من أيام الأشهر المعلومات التى ذكرها القرآن أى أن الوقوف بعرفة يوم ٩ من ذى الحجة سنّة وليس فرضا. سيقول المفسرون من الواجب أن نتمسك بسنة الرسول ـ ونرد بقولنا ـ عليكم إذن أن تحجوا على ظهور الإبل وعليكم أن ينحر كل منكم من البدن بعدد سنى عمره.

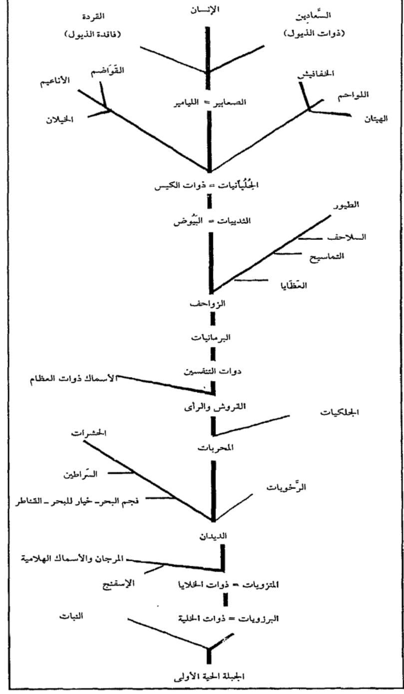
أحد عشر: ـ أرى أن للسلطات السعودية أن تنظم مواسم الحج بتحديد أيام متعددة للوقوف بعرفة حسب ما تقتضيه الأحوال بدءا من أول شوال وانتهاء بيوم ٩ من ذى الحجة وبذلك يكون هناك أيام تروية ونحر وتشريق متعددة وبذلك أيضا يباهى الله ملائكته فى أيام متعددة للوقوف بعرفة قائلا: هؤلاء عبادى جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق.

ولا شك عندئذ أننا نخالف سنة رسولنا الكريم مضطرين، ولكننا لا نخالف ما جاء بآيات الكتاب الكريم إذ يقول: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾.

والله تعالى أعلم.

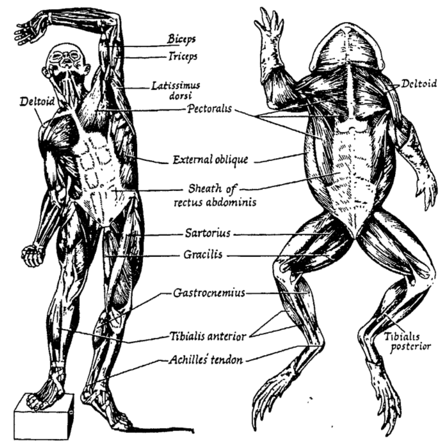
د. حسن حامد عطية

شجرة الأحياء

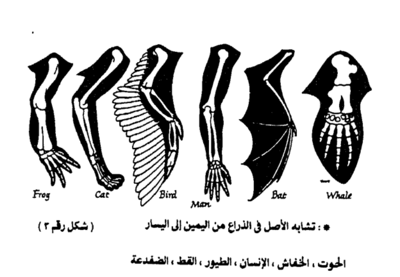


عن ترجمة كتاب أصل الأنواع - إسماعيل مظهر

شكل رقم (١)

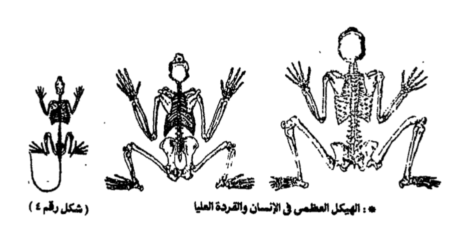


** : تشابه الجهاز العضلى فى الإنسان مع الجهاز العضلى فى الضفدعة (شكل رقم ٢)

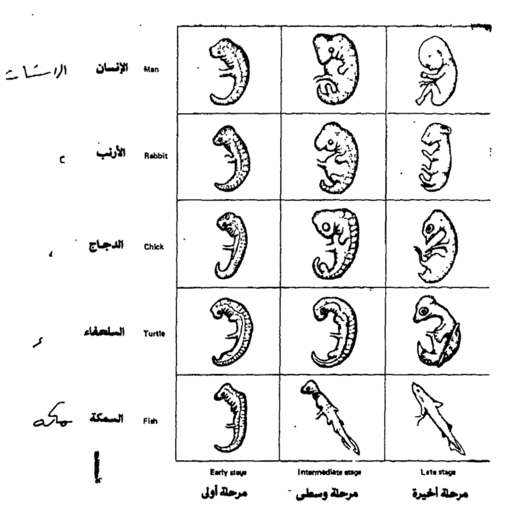


* : تشابه الأصل فى الذراع من اليمين إلى اليسار (شكل رقم ٣)

الحوت ، الخفاش ، الإنسان ، الطيور ، القط ، الضفدعة



* : الهيكل العظمى فى الإنسان والقردة العليا (شكل رقم ٤)



* : تشكل الجنين فى كائنات مختلفة (شكل رقم ٥)

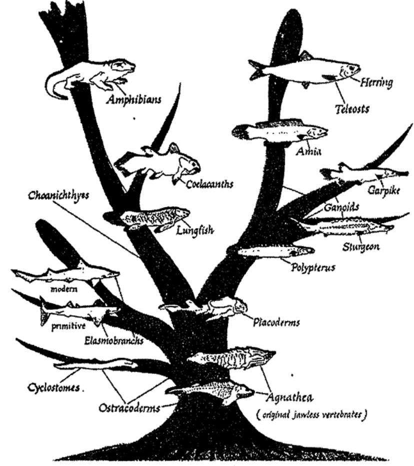


Fig. 20-6. Evolutionary deployment of the fishes, Class Pisces.

* : شجرة توضح تطور الأسماك (شكل رقم ٦)



* : أنواع مختلفة من الأسماك (شكل رقم ٧)

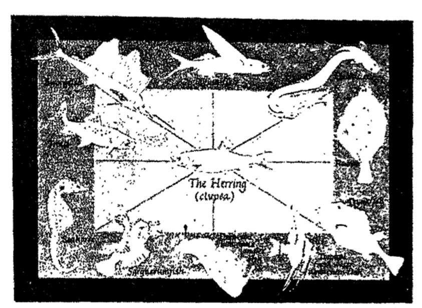
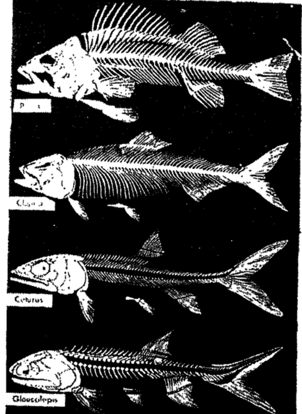


Fig. 20–18. Adaptive radiation in ...

* : أنواع من الأسماك نشأت جميعها من نوع واحد (شكل رقم ٨)



* : إختلاف الهيكل العظمى فى مجاميع الأسماك

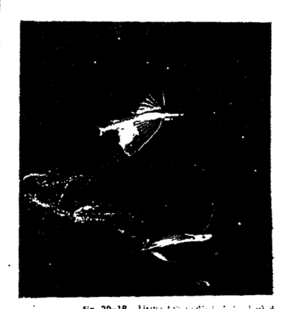


Fig. 20–19. Flying ... photo flash camera ...

* : نوع من السمك الطائر

(شكل رقم ٩)

المراجع العربية

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

●● المعاجم:

** تفاسير القرآن الكريم: الإمامين الجلالين ـ الجواهر ـ الطبرى ـ المنار ـ ابن كثير ـ أبو السعود ـ (تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى) محمود شلتوت.

** معجم الوسيط ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية).

* آدم وحواء من الجنة إلى أفريقيا. د/ عبدالهادى مصباح ـ الدار المصرية اللبنانية ـ رقم الإيداع: ـ ١٤٥٤٩/١٩٩٦م.

* أبى آدم ـ قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة ـ د/ عبدالصبور شاهين ـ الروافدُ الثقافية ـ دار النصر للطباعة الإسلامية ـ رقم الإيداع : ـ ٤٧٢٧/ ١٩٩٨م.

* أصل الأنواع. تشارلز داروين ـ ترجمة/ إسماعيل مظهر ـ مكتبة النهضة ـ بيروت ـ بغداد.

* الحج والعمرة فى القرآن والسنة . عثمان محمد زهدى ـ مطابع دار الشعب بالقاهرة ـ الطبعة الأولى : ـ ١٣٩٩هـ ـ١٩٧٣م.

* الرسول ﷺ يُعَلمُ النّاس مناسكهمُ فى حجة الوداع ـ للأستاذ/ على حسب الله ـ أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعتى القاهرة والخرطوم.

* حياة آدم. محمود شلبى ـ دار الجيل ـ بيروت ١٩٧٤م.

* خلق الإنسان بين العلم والقرآن. د/ حسن حامد عطية ـ مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله ـ تونس ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٩٤.

* خلق السماوات والأرض فى ستة أيام فى العلم والقرآن. د/ حسن حامد عطية ـ مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله ـ تونس سنة ١٩٩٢م.

* خواطر مسلم فى المسأله الجنسية. محمد جلال كشك المطبعة الفنية ـ رقم الإيداع: ٣٥٥٨/ ٨٤.

* علم الحيوان العام. د/ فواد خليل، د/ محمـد رشاد الطوبى، د/ أحمد حماد الحسينى، د/ محمود حافظ، د/ عطاالـله خلف الدويني ـ مكتبة الأنجلو المصريـة ـ الطبعة الرابعة ١٦٧٦م.

* قضية الخلق ـ من الوحى إلى دارون . د/ حـسن حامد عطية ـ دار الخيّال ١٩٩٩م ـ رقم الإيداع: ـ ١٤٢٥٢/ ٩٨.

* من الكـفر إلى الإيمان. قصة إسـلام الكاتبة الأمريـكية المهتديـة مريم جميلة. د/ محمد يحيـى ـ المختار الإسلامى لـلطبع والـنشر والتوزيـع ـ دار نافع للطـباعة والنـشر ـ رقم الإيداع بدار الكتب: ١٩٩٠/ ١٩٨٥م.

* من قضايا القرآن (٢) مشيئة الله ومشيئة العباد.

عبدالكريم الخطيب ـ دار الفكر العربى.

محتويات الكتاب

عــربيــة للطباعة والنشر
7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون : 3256098 - 3251043

حواء

فى النصوص الدينية المقدسة

هذا الكتاب يحتوى مدارسة للنصوص الدينية المقدسة فيما يخص خلق الإنسان وتطوره وخلق آدم وحواء آباء البشر، ومؤلف الكتاب الدكتور حسن حامد عطية، أستاذ مخضرم فى علوم الأحياء والتطور، وإلى جانب ذلك فهو ملم بدراسة وافية حول مقارنات التفاسير الخاصة بذكر المخلوقات والإنسان والبشر في النصوص الدينية المقدسة.

والمؤلف صاحب سبق فى أن آدم وحواء مخلوقان من آباء سابقين وعلى هذا فإن آدم ليس أول إنسان وإن كان أول بشر مكلف برسالة من الله.

والمؤلف يذهب إلى تفسير مخالف لجمع من المفسرين السابقين للآية الكريمة ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾.

يقول جمهور المفسرين أن النفس الواحدة هي آدم وأن حواء قد خلقت من تلك النفس الواحدة أي أنها خلقت من آدم.. بينما يعتقد المؤلف أن النفس الواحدة هى النوع الواحد وأنه ليس صحيحا أن حواء قد خلقت من ضلع لآدم، وأن المفسرين المسلمين قد أخذوا ذلك عن التوراة ويناقش المؤلف بعض ما جاء بالأحاديث النبوية من أن آدم طوله ستين ذراعاً، أي ما يقرب من بناء ارتفاعه يزيد على خمسة عشر طابقاً ويوضح المؤلف الأختلاف بين النص القرآني والتوراتى فى عصيان آدم وحواء وأن المسئولية فى النص القرآني يتحملها آدم فى حين أن التوراة تحملها لزوجة آدم ويتعجب المؤلف من شيوع التفسير التوراتى بين المسلمين.

ويوضح المؤلف أخيراً الفرق بين مفهوم الخطيئة فى المسيحية والإسلام، وأن الإسلام لا يحمل الخطأ أو الخطيئة إلا على مرتكبها بينما المسيحية ترى الله لم يغفر لآدم وحواء على فعل العصيان وإيتان الشجرة المحرمة - يذ المؤلف إلى أنها شجرة أفيون أو ما شابه - وأن هذا يتطلب التعميد على قسيس كشرط لمجرد رفع الخطيئة عن إنسان أو طفل لم يكن له يد فيها.

إنه باختصار كتاب يخلص مفاهيم النصوص المقدسة من بعض أسطوريتها

الناشر

دار الخيال - القاهرة - لندن